مجلة المنار

المجلد الرابع والعشرون

الجزء الأول

إهداء من

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب

فيها الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ جمادى الاولى ١٣٤١ ـ ٢٦ الجدي (ص١) سنة ١٣٠١ هـ ش ١٧ يناير ١٩٢٣

فاتحة المجلد الرابع والعشرين

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً * نحمده بما حمد به نفسه ، وأنى للعبد العاجز أن يحصي الثناء على ربه ، ونسأله الفضيلة والوسيلة ، والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود الذى وعده ، لصفوة خلقه ، وخاتم رسله ، الذي بعثه من عرب مضر ، للابيض والاحمر ، والاسود والاصفر ، ليصلح ما فسد من أمر البشر ، ويزيل من بينهم فوارق التقاليد والغير ، ويجعلهم أمة واحدة ، بعقيدة صحيحة مطهرة للعقل ، وآداب عالية مزكية للنفس ، وعبادة خالصة مصفية للروح ، ولغة

فصيحة مرقية للشعور والعلم ، وإلا فبشريعة عادلة تساوي في أحكامها بين الاغنياء والفقراء، والاقوياء والضعفاء ، والسوقة والملوك ، لا تحابي رئيساً على مرؤوس ، ولا صاحب منصب في دنيا أو دين ، اقامه حجة على جميع البشر ، وجعل أمته شهداء على الامم ، وجعله هو الشهيد على أمته ، اذا انحرفت عن هدايته ، أو قصرت في إقامة شريعته ، (٣٣ : ٤٥ يا أيها النبيُّ إنا أرسلناكَ شاهداً ومبشّراً ونذيراً ٤٦ وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ٤٧ وبشّرْ المؤمنينَ بانّ لهُمْ منَ اللهِ فضلا كبيراً ٤٨ ولا تطعِ الكافرين والمنافقين ودَعْ أذاهم وتوكلْ على الله وكفى بالله وكيلا)

وقد بلّغ — بأبي هو وأمي — الدعوة ، واقام الحجة ، وبين المحجة ، فكان المثل الاعلى في الحق والعدل ، والرحمة والفضل ، عانده الجبارون المتكبرون ، واستجاب له الفقراء المستضعفون . فنصر الله الفقر على الغنى والثروة ، والضعف على الشدة والقوة ، بل نصر غنى النفس على غنى المال ، وقوة الحق على قوة الباطل ، وجعل الفوز لجهاد القرآن ، على جهاد السيف والسنان ، فانتظم عصره في سلك دينه ما كان مبعثراً من قبائل العرب ، ودان لخلفائه من بعده أعظم شعوب العجم ، وعم النور جميع الامم ، فأحيا الاسلام العلوم والفنون ، وابتكر حضارة طريفة لم تر مثلها عيون القرون ، جمعت بين العلم والدين ، وألفت بين لذة الجسد والنفس ، ولذة الروح والعقل ، وأقامت ميزان العدل بين المختلفين في الدين والجنس والصفات ، وألغت ما كان من التفاضل والامتياز بين الناس في الانساب والطبقات ، وحصرت الفضل في الايمان

والهدى وعمل الصالحات(٤ : ١٧٣ يا أيها الناسُ قد جاءكم بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وأنزلنا اليكمْ نوراً مبيناً ١٧٤ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضلٍ ويهديهم اليه صراطاً مستقيما) ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

أما بعد فان المنار يذكر قراءه في فاتحة مجلده الرابع والعشرين ، بمثل سُنته في فواتح ماغبر من السنين، من العبرة بشؤون الاجتماع والعمران، وتنازع عوامل الصلاح والفساد في الانسان ، وما يناسب ذلك من هداية القرآن، حجة الله البالغة بما فيه من آيات العلم والتبيان، المناسبة لكل زمان ومكان ، وصفة من هو كل يوم في شان ، ذلك بأن المنار انما أنشىء لايقاظ الشرق وتجديد الاسلام ، باعادة تكوين الامة ، وحياة الملة والدولة ، لا لفروع الفقه وأصول الكلام، ولا لجدليات المذاهب الدينية، ولا تأييد العصبيات الجنسية، ولا لنشر ما يجدد في قضايا العلوم ونظريات الفلسفة ،أو مخترعات الفنون وعجائب الصناعة ،ولا لقصص التاريخ ونوادر الفكاهات، ولا لجوائب الحوادث وأخاديع السياسات ،بل كل ما يذكر فيه مما يدخل من هذه الابواب ، فانما يولي وجهه شطر ذلك المحراب لان الامة اذا حيّت أحيت من العلوم ما كان ميتاً، وأنشرت من الفنون ما كان رميما ، واذا ماتت أماتت معها ما كان حيا ، ودرست ما كان مدروساً مرويا ، وان الغذاء اللطيف قد يزيد الممعود الدويّ دَوَى ، والغذاء الخشن يزيد المتمعدد القوي قوى (٢٥ : ٥٠ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُوراً ٥١ وَلَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً ٥٢ فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَجاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً)

ما كل من أعرض عن آيات الله في القرآن ، يستطيع أن يعرض عما يصدقه من آياته في الاكوان، ومن آياته الماثلة امام الناظرين، فضيحة هذه المدنية المادية التي فتنت أوربة بها المسلمين ، فقد ظهر لهم ما كان خفياً من فسادها ، وذهب بهيبتها ما كان من الفظائع في حربها ، ومن آياته أن ثلّ عروش دولها المقهورة ، وزلزل أركان دولها المنصورة ، وضعضع ثروتها ، وأوقع الاضطراب في معيشتها . ومن آياته أن نقض غزل عهودها أنكاثا . واجتث شجرة وحدتها اجتثاثا . فبدت خبايا نبائثهم، وفضحت خبايا خبائثهم. ومن آياته أن أذل جبروت أعظم دولة قاهرة ، بفئة من أضعف دولة مقهورة . فوطيء بها شم معاطسهم ، وطأطأ من إقماح أرؤسهم ، وطأ من من افراط تغطرسهم . حتى جنحت تلك الدولة العاتية المتكبرة ، الى مصالحة تلك الفئة التي كانت تسميها المشرّدة المتمردة . واضطرت الى الرضى بمساواتها في مؤتمر السلم ، بعد أن كانت تستكبر أن توقفها موقف المجرم لسماع الحكم . ومن آياته ان سخر ما بقي من قوة الامة الروسية ، لحفظ ما بقي من استقلال الدولة التركية. بعد ان كانت هي الخطر على استقلالها ، والمجدة في تقطيع أوصالها . ومن آياته أن أبطر الامم الغالبة بمظهر غلبتها وان لم تكن بمحض قوتها ، فأصرت على غيها ، واستمرأت مرعى بغيها، لتحق عليها كلمة الانتقام من الظالمين ، وتدمير فسقة المسرفين، (٢٥ : ٢١ لقد استكبروا في أنفسهم وعتوّا عتواً كبيراً * ١٧ : ١٦ وإذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً)

عسى أن يكون الباغون قد بلغوا أوج العلوّ ولم يبق الا الهويّ ،

وأن يكون ما بلغناه هو منتهى الحدور وما ثم الا الرقي ، فان الوقوف في عالم الحياة محال ، وإنا وإياهم لفي انتقال ، وإنا كلاً منا لعُرضة للغرور فيه والضلال ، وان الغرور لمحبطة للعمل ، وان الضلال لمدرجة للزلل ، وانا ليعوزنا من القوة والبصيرة في بطء الصعود ، فوق ما يعوزهم من الحكمة والروية في سرعة الهبوط ، وانهم لأعلم منا بسنن الله في البشر ، وبأيديهم ما ليس بأيدينا من وسائل الحذر ، وأسباب اتقاء الخطر ، وإنا لا ينبغي لنا ان نغتر بما نرى من تفرق قوتهم ، مع مانعلم ويعلمون من عدم اجتماع قوتنا ، ولا بما انفصم من عروة وحدتهم ، ولما نوثق عروة وحدتنا. فان عطف بعضهم على بعضنا عطفا سياسيا سلبيا ، فان منا من يوالهم على أمته ولاء إيجابيا . (٢٥ : ٢٠ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ؟ وكان ربك بصيرا (٢٥) أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٢٦) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا)

قد كان لنا جامعتان سعد سلفنا بالاعتصام بهما ، وشقي خلفنا بالتفرق والاختلاف فيهما : جامعة علمية روحية وهي كتاب الله وما بينه من سنة خاتم النبيين ، وجامعة سياسية عملية وهي الامامة العظمى وما بينها من سيرة خلفائه الراشدين ، وهدي السلف الصالحين وهذه متممة للاولى ومنفذة لها ، وان إلهنا يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، تفرقنا في القرآن بالتأويل فذهبنا مذاهب جعلت الملة الواحدة مللا ، وتفرقنا في الامامة بالعصبيات فصارت الامة أمما والدولة دولا ، ثم أعرضنا عن كل من الجامعتين كلتيهما ، وبطل الاقتداء بالامامين مع احترام اسميهما أو كلتيهما ، فجمد بعضنا

على ظواهر بعض الكتب التقليدية، وفتن بعضنا بالقوانين والنظم الاوربية، وروابط شعوبها الجنسية والوطنية، وآدابها وعاداتها الشخصية والاجتماعية: ومرت القرون وتعاقبت الاجيال . ونحن على هذا الضعف والانحلال والمدعون للامامة العظمى فينا بين معتزل في ضامق جبل ، قد ضاقت به الحيل، لا يعرف من أمره من وراءه من المسلمين رفا ولا نكرا ولا يعرفون من أمره شيا ولا أمرا . وبين ناعم في قصور جنانه، بين قنانيه وقيانه ، مستبد في سلطانه ، عاص لربه مطيع لشيطانه، مفقر لرعيته ممن لا خدانه : مستفن بمدح كذبة الجرائد ، وخطباء الفتنة في المساجد، يتلون بين يديه في كل جمعة (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) غشا للامة وتضليلا ، ويسكتون عن قوله تعالى بعده (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ولسان حال الرعايا يجيبهم بقوله عز وجل (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا)

كنت كتبت في فاتحة السنة الاولى للمنار، ان من أصول خطته بيان حق الامام على الامة وحقوق الامة على الامام . فلما قرأتها على الناصح الامين مستشيرا بها ، اقترح ترميج هذه الكلمة منها، وقال ان المسلمين لم يبق لهم إمام الا القرآن. وان البحث في الخلافة وما يجب على السلطان فتنة للناس، فراعيته على حذف الكلمة، ولكن لم يسعني ترك البحث في المسألة . بل نشرت في المجلد الاول بضع مقالات في فساد حال المسلمين واضمحلالهم بافساد أمرائهم وعلمائهم ومرشديهم ، بينت فيها مثار فساد الدنيا والدين ، خروج الخلافة عن الاساس الذي أقامه عليه

الاسلام في عهد الراشدين، وكتبت بعد ذلك مقالات في الاصلاح تحت اسم المقترح على مقام الخلافة الاسلامية، على العلم بانها لم تكن الا اسمية أو وهمية. فكان جزاء المنار على أمثال هذه المباحث الاصلاحية، تحريمه على البلاد العثمانية وتعذيب آل بيتنا في ديار الشام، وفاقا لما نصح لنا به الاستاذ الامام، بل هي التي صدت الكثيرين عن المنار، الذين كانوا يقدسون السلطان عبد الحميد في هذه الديار، وفي سائر ما استعبد الاجانب من الاقطار، على حين يعده جميع مسلمي العثمانيين، أفضل المجاهد لاحياء الدولة والدين، ولولا الاخلاص لعدونا ذلك النصب الى ذرى المناصب، والمترية الى علو المراتب والرواتب، ولقد دعينا اليها فأبيناها، وسئلنا الفتنة فما آتيناها، ولقد سئلها كثيرون فآتوها وما تلبثوا بها الا يسيراً * (سُنَّةَ اللهِ في الذينَ خَلَوْا مِن قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

ونحمد الله أن كان من آثار ما أحدثت الحرب العامة من التطور العام أن وضعت هذه المسألة موضع البحث في هذه الايام، بعد ان دك أحرار الترك هيكل تلك الاوهام التي كانت تشبه معابد الاصنام، فكان أهم ما يعني به المنار من خدمة الاسلام، أن يوفيها حقها من تحقيق أحكامها الشرعية، وبيان وسائلها العملية، وموانعها السياسية والاجتماعية، ليكون الساعون إلى إقامتها على بصيرة من أمرهم فيها، مهتدين بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (١٧ : ٩ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوَمُ ويبشرُ المؤمنينَ الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ٣٣ : ٢١ لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخرَ وذكر اللهَ كثيراً)

ألا إن اقامة الامامة هي التي تحيي هذه الامة ، ولكن أمرها لا يزال غمة ليس وراءها غمة ، وانها لترهق محاولها صعوداً ، وتتقحم به كؤوداً . وتجشمه منالا بعيداً ، يركب فيه الشبهة ، ويخبط في ديجوره العشوة ، وان أسعد الناس بها لأزهدهم فيها ، وان اطمعهم فيها لاعجزهم عنها ، وان أقربهم منها ، لأبعدهم عنها ؛ فلا الوسيلة ممهدة ، ولا السبيل معبدة ، وانما كل الفرصة السانحة أن مسكتي الألسنة عنها قد أنطقوها ، وحاظري اجالة الرأي فيها قد أباحوها ، أهل الحرص عليها ، يتخبطون فيها ، فوجب على أهل الحقيقة أن يقولوها . وعلى عارفي الطريقة أن يسلكوها ، وعلى حاملي الامانة أن يؤدوها (٣٣ : ٧٠ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً (٧١) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)

منشيء المنار

محمد رشيد آل رضا الحسيني الحسني

الدعوة الى انتقاد المنار

ندعو كل من يطلع على المنار أن يكتب الينا بما يرى فيه من خطأ أو خطل ، مبيناً ذلك بالدليل ، من غير استطراد ولا تطويل ، فانه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، وقد أمر الله تعالى به في كتابه ، ونحن نعد بأن ننشر ذلك بشرطه ونعترف لكل ذي حق بحقه وليس لنا فيما ننشر هوى فننصر عليه ، ولا منفعة مادية فنحرص على استبقائها ، ولا جاهة عصبية فنخشى اضاعتها ، بل لا نزال مستهدفين لخسارة المال ، واسخاط جميع مصادر الجاه ، ولكن في سبيل الله (وما عند الله من خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)

﴿ الملحق الفني التابع لفتوى طهارة الكحول في ج ٩ م ٢٣ ﴾

(بقلم الطبيب العالم الشهير احمد بك عيسى)

الكؤول alcohol كلمة عربية الاصل اصلها كحول وهي المادة الدقيقه اللطيفة التي يتكحل بها وقد اقتبسها الافرنج من اللغة العربية في العصور

الوسطى واطلقوها مجازا على المادة اللطيفة المعروفة ولم يتوصل الباحثون في كيمياء العرب الى الآن الى معرفة الزمن الذي اقتبست فيه ولا الكتاب الذي اقتبست منه واطلقت على هذه المادة ولا أول من اقتبسها وقد كتب في ذلك العالم الكيموي الشهير بريتلوا في كتابه المعنون «كيمياء العصور الوسطى tachisnie au moieu âgc والسبب في تسميتها (اسبرتو) هو أن الكحول كانت في الابتداء تستخرج من النبيذ ولذلك كانت تسمى روح النبيذ Espit aie uin فاخذت الكلمة الاولى وعربت (اسبرتو) بمعنى روح والكحول هذه مائع شفاف لا لون له طعمه حامز قارص عطري الرائحة ساطع يلتهب ويغلي على درجة ٧٨ مئوية ووزنه النوعي ٧٩ر. وتستخرج الكحول من تقطير الموائع السكرية والخمرة ومن المواد السكرية والنشوية على وجه العموم) واذا التهب الكحول استحال الى ماء وكربون واذا خلط بالاحماض الجاويك والكبريتيك والازوتيك والفصفوريك تولد من خلطها مواد اخرى تسمى الاثيرات (جمع إثير)

وللكحول انواع عديدة بحسب عدد جواهر الكربون والايدروجين الموجودة فيه

وتستعمل الكحول مذيبة لكثير من المحضرات الاقرباذينية كالاصباغ مثل صبغة اليود وغيرها كثيرا جدا وتستعمل كذلك في الاطلية والدهن وفي العطور . وهي مطهرة من الظاهر مانعة للعفونة وقابضة تقطع الانزفة ولها استعمالات اخرى كثيرة لا يستغنى عنها

﴿ ملحق آخر للصيدلي الشهير محمد علي بك نصوحي ﴾

الكؤول سائل يشبه الماء شفاف خفيف قابل للالتهاب بسرعة سريع التبخر يستحصل عليه بواسطة الانبيق (التقطير) من بعد اختمار العنب . والقصب والبلح . والخشب . والبنجر وجميع الاثمار المعروفة في العالم

تستعمل هذه المادة أي الكؤول في اكثر السوائل بل جميعها تقريبا لان الصفات والخلاصات المستعملة في فن الطب لا يمكن استحضارها الا بواسطة الكؤول

ويستعمل في دهانات اللوسز أي على الاخشاب وفي غالب الروغلت الطبية التي تستعمل للتدليك وللدهان وله منافع عديدة في فن الطب والاقرباذين وكذا الاعطار التي من نوع الكلونيا المعروفة عند القريب والبعيد المتداولة في العالم

فتاوى المنار

استعمال الذهب والفضة

(س ١) من صاحب الامضاء بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة مولانا الاستاذ المحترم السيد محمد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته — وبعد فاني أرفع لفضيلتكم السؤال الآتي راجيا التكرم بالاجابة عليه ولسيادتكم من الله تعالى جزيل الاجر، ومني عظيم الشكر: جاء في باب الشرب في آنية الذهب بالجزء الثامن من صحيح الامام البخاري رضي الله تعالى عنه من حديث ابن أبي ليلى قال كان حذيفة بن اليمان بالمدائن فاتاه دهقان بقدح من فضة فرماه به فقال اني لم أرمه إلا اني نهيته فلم ينته وان النبي صلى الله عليه وسلم نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة. وفي باب آنية الفضة التالي للباب المذكور من حديث ابن أبي ليلى بطريق غير الطريق الاول قال خرجنا مع حذيفة وذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة » وفي حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم من الباب المذكور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الذي يشرب في آنية الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم » وفي حديث البراء بن عازب التالي لهذا الحديث قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع الى ان قال ونهانا عن خواتيم الذهب وعن الشرب في الفضة أو قال آنية الفضة اهـ. والمنصوص في مذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه تحريم الفضة مطلقا على الرجال الا ما استثني من نحو الخاتم وعلى النساء مطلقا الا للتحلي. وفي الجزء الاول من كتاب الترغيب والترهيب للامام الحافظ زكي الدين بن عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (صحيفة ١٤٤ طبعه أولى سنة ١٣٢٤ بالمطبعة الشرفية) مانصه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أحب ان يحلق حبيبه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب ومن أحب أن يطوق حبيبه طوقا من نار فليطوقه طوقا

من ذهب ومن أحب أن يسور حبيبه بسوار من نار فليسوره بسوار من ذهب ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها » رواه أبو داود باسناد صحيح وقد نقل صاحب الكتاب المذكور عن المحلى الجواب عن الاحاديث التي ورد فيها الوعيد على تحلي النساء بالذهب قبل هذا الحديث ولم يجب عن هذا الحديث المفيد بظاهره إباحة الفضة مطلقاً للرجال ولو في غير الخاتم وللنساء ولو في غير الحلي فتفضلوا حفظكم الله ببيان الجمع بين الاحاديث المذكورة وحديث أبي داود المذكور على فرض مساواته لاحاديث البخاري وببيان دليل تحريم غير الشرب من انواع الاستعمال وببيان وجه تحريم غير الآنية كساعة الجيب وساعة اليد وأسورتها والازرار والانواط ويد المصاوالختم ونحو ذلك من أنواع الاستعمال ولفضيلتكم الاجر

عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقي الشافعي مذهبا ببيروت

(ج) مذهب الظاهرية نفاة القياس كالامامين داود وابن حزم وكثير من فقهاء الحديث الذين يثبتون القياس ان التحريم الديني لايثبت بالقياس ولهم في ذلك ادلة بسطناها في التفسير وفي مواضع اخرى من المنار منها حديث « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » فهؤلاء كلهم يبيحون استعمال الذهب والفضة في غير الاكل والشرب وما ورد من حلية الرجال دون غيرها بقاعدة البراءة الاصلية واصل اباحة الزينة الثابت بنص قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية ، واستعمال الفضة خاصة . اذكر من حديث أبي موسى الاشعري وبحديث «ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها لعبا » رواه احمد وكذا أبو داود من حديث أبي هريرة كما تقدم في السؤال . وليس عند الشافعية وغيرهم دليل على تحريم كل استعمال للذهب والفضة في غير حلية النساء وخاتم الفضة للرجل والضبة بشروطها الا القياس، والقياس حجة مختلف فيها بين علماء السلف والخلف وقد بسطنا أدلة المثبتين والنافين وحققنا المسألة في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) الآية فليراجعها السائل اذا أحب أن يكون على بصيرة في دينه في أمثال هذه المسألة (١)

(١) تراجع علاوة تفسير الآية ص ١٣٨ ـ ٢٠١ ج ٧ تفسير

ولبراجع أيضا تفسير (اليوم أكملت لكم دينكم) وكلامها في سورة المائدة (١) ولعل قلبه يطمئن حينئذ بأن عقائد الدين وعباداته والمحرمات الدينية إنما ثبت بالنص أو فحواه بشرطه دون القياس، وناهيك بقياس معارض للاصول القطعية ونصوص الكتاب والسنة كتحريم الزينة والطيبات بغير نص يصلح مخصصا لعموم الزينة في آية الاعراف . وانما القياس والاجتهاد في الامور القضائية ونحوها من المعاملات التي لا تحصر جزئياتها وتختلف باختلاف العرف والزمان والمكان ولا سيما السياسي منها

ومن التعليلات التي يذكرها بعضهم للتحريم كسر قلوب الفقراء ومقتضاها ان الغني يجب ان يكون طعامه ولباسه ومسكنه كالفقير ، وهذا أمر مردود بنصوص الكتاب والسنة ومخالف لكلامهم في النفقات، ويفضي العمل به الى فساد العمران فراجع تفسير (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) في المجلد ٢٣ المنار

﴿ كتب ابن تيمية وابن القيم والشوكاني والسيد حسن صديق ﴾

(س ٢) ومنه ماقولكم رضي الله تعالى عنكم في مؤلفات وفتاوى الشيخ تقي الدين ابي العباس احمد ابن تيمية الحنبلي والشيخ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الشهير بابن قيم الجوزية الحنبلي والشيخ محمد بن علي الشوكاني اليماني والعلامة السيد ابو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني القنوجي البخاري هل هي من الكتب المعتمدة المنقاة كغيرها بالقبول ام هي من الكتب المطروحة التي لا يعول عليها ولا يجوز النقل عنها والافتاء بما فيها ؟ تفضلوا حققوا لنا ذلك فان المطلوب النقل منها وهي موجودة لدينا فقال بعض أهل العصر هذه الكتب لا يعول عليها ولا يلتفت اليها ، بل هي من الكتب غير المعتمدة . تفضلوا افيدونا ولفضيلتكم من الله تعالى جزيل الاجر ومنا عظيم الشكر

(ج) قد سئلنا من عهد قريب عن كتب الشيخين الاوليين وأجبنا عنه. ونقول الآن ان كتب هؤلاء العلماء الاعلام من أفضل ما اطلعنا عليه من كتب علماء الاسلام ، من حيث انهم جمعوا بين العلم بالكتاب والسنة رواية ودراية وبين

(١) ص ١٥٤ - ١٦٧ ج ٦ تفسير

الاطلاع على كتب مذاهب علماء الامصار الذين يقلدهم الناس وغيرهم ولم يلتزموا التعصب لامام معين ولا لاهل مذهب بل محصوا الادلة ورجحوا ما كان دليله أقوى . فكتبهم أحق بالاستفادة منها من كتب المقلدين لمذهب معين يتمسكون بأقوال أهله وان خالفت النصوص الصريحة ، والاحاديث الصحيحة وأكثرها خلو من الادلة مطلقا أو أدلة المخالف . وقد طبعت هذه الكتب وقرظها بعض كبار العلماء ولا يزل اهل العلم الصحيح وطلابه يتنافسون فيها وسوقها أروج من غيرها ومنها ماتكرر طبعه . وقد كان نيل الاوطار يباع بجنيهين وهو يساوي الآن بضعة جنيهات وقلما يوجد . وانما ينهى بعض المقلدين للمذاهب المشهورة عنها كما ينهون عن العمل والفتوى بمذاهب الصحابة والتابعين بغير حجة الا ماذكره قريبا من الاعتذار عن ذلك .

ولو خرج أحد الائمة الاربعة من قبره ورأى هذه الكتب لفضلها على جميع كتب المقلدين له ، لانها قلما تخالف غيرها الا بترجيح حديث صحيح على ضعيف أو على قياس ، وهذا أصل مذاهبهم كلهم رضي الله عنهم ، ولكن المنتمين الى مذاهبهم اتخذوا أقوالهم وأقوال كبار اصحابهم اصولا في التشريع ودلائل على حكم الله ويوجبون تقليدهم في كل ماروي عنهم وان خالف نصوص الشارع أصولهم التي بنوا عليها مذاهبهم ، وكلهم يتبرأ من ذلك . وهذا كتاب مختصر المزني صاحب الامام الشافعي قد افتتحه بعد البسملة بقوله : «اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي لاقرب به على من اراده مع إعلامي نهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه» لمثل هذا النظر والاحتياط استنبطوا وألفوا وهو ما نقتدي بهم فيه عند النظر في الكتب المسؤل عنها فلا نتبع أصحابها في فهمهم تقليدا بل يستعين بها ككتب الائمة الآخرين على معرفة الراجح في مسائل الخلاف

وقد اعتذر بعض علماء التقليد عن هذا التحكم بحصر العمل والفتوى في مذاهب الأئمة الاربعة عند اهل السنة بان مذاهبهم هي التي دونت واستمر العمل عليها ووسعت مباحث الفروع فيها فاستغني بها عن غيرها من المذاهب المندرسة مع الاعتراف بالاجتهاد لأهلها

وأجبنا عن هذا (أولا) بأن السنة وآثار الصحابة قد نقلت نقلا أصح من نقل المذاهب بالاسانيد التي وضعت لها كتب الجرح والتعديل وعلل الحديث

وشروحه وهي أصل هذه المذاهب كلها بعد القرآن فلماذا لايكون العمل بهـ..اهو المقدم على كتب الفقه التي تكثر فيها ادلة الاقيسة والرأي التي اختلف علماء السلف في الاحتجاج بها ولاسيما قياس الشبه ومافيه من مسالك العلة التي يتعذر إثبات شرعيتها. ونم مذاهب أخرى منقولة مدونة و يعمل بها ملايين من المسلمين كمذاهب آل البيت النبوي (وثانيا) بأنهم قالوا ان اختلاف العلماء رحمة للامة فلماذا نضيق باب هذه الرحمة عليها بحصر الاستفادة بواحد نحرم الاستفادة من غيره بتسميته تلفيقا ونخالف السلف الصالح الذين كان عوامهم يستفتون كل عالم يوثق بعلمه

مثال ذلك ان الشافعي واحمد رحمهما الله تعالى كانا شديدي الورع وكانت حضارة الاسلام قد اتسعت في زمانهما ولاسيما في بغداد ومصر مصدر علمهما فكان لهذين الامرين تأثير عظيم في اجتهادهما في مسائل الطهارة والنجاسة، على سعة علمهما بالسنة وبما كان عليه الصحابة في عصر التشريع من الضيق وقلة الماء، حتى ان مقلديهما يكثر فيهم الحرج والوسواس في الطهارة ـ فلماذا نحجر على الامة ان تطلع على فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ـ الذي قال بعض العلماء في استحضاره لنصوص الكتاب والسنة عند بحثه في كل مسألة كانها قد كتبت في كفه ـ وأن تأخذ بما أثبته بعد بيان أدلة المذاهب الاربعة وغيرها من طهارة كل ماء ومائع لم يتغير بالنجاسة التي تصيبه وهو قول طائفة من كبار علماء الصحابة والتابعين وعلماء الامصار المجتهدين كابن مسعود وابن عباس والزهري وابي ثور والظاهرية؟ وهو يميل الى مذهب الامام مالك في مسائل النجاسات ككثير من محققي المذاهب الاخرى ومنهم الغزالي من الشافعية ، ومالك لم يأخذ علمه في أمثال هذه المسائل العملية من الاستنباطات اللفظية فقط بل كان مرشده فيها عمل أهل المدينة من التابعين الذين تلقوا عن الصحابة (رض) وما من مجتهد الا وقد انفرد بمسائل ردها عليه غيره وما زال العلماء المنصفون يعذر بعضهم بعضا في المسائل الخلافية التي لم يجمع عليها أهل الصدر الاول وأولى الجميع بأن يرجح كلامه من لا يقول الا بدليل ولا يكلف حداً ان يعمل الا بما يظهر له صحة دليله كاصحاب الكتب المسؤل عنها والله قد أرشدنا الى اتباع الاحسن وهو لا يعلم الا بالنظر في الادلة

الجامعتان الاسلامية والشرقية

دعوة السيد الافغاني اليهما — تأثير دعوته بعد جيل كامل في الشعوب الاعجمية — جمود جزيرة العرب واضطراب العراق وسورية — الانكليز مثيرو الفتنة وعليهم تقع تبعتها

كانت فكرة الجامعة الاسلامية خيالا لاح في أذهان بعض رجال السياسة في أوربة فطفقوا يبحثون فيه ، ويصورون لاقوامهم قوادمه وخوافيه ، حتى صار الكثيرون منهم يحسبون أنه حق لا ريب فيه

أثار هذا الخيال في تلك الادمغة كثرة التفكر في تاريخ الشعوب الاسلامية التي أسرعت أوربة في ثل عروشها، واستعباد امرائها وملوكها ، والتمتع بخيرات بلادها ، فان المطلع على ذلك التاريخ الفياض بما كان لها من العزة والبأس في الحرب، والعلم والحكمة وإقامة العدل، جدير بأن يحسب لانتقاضها على المستذلين لها الف حساب، وان استحوذ عليها الجهل ،وحرقت نسيج وحدتها العداوات الجنسية والمذهبية ، فصار بأسها بينها شديداً ، وقيادها للاجانب لينا سلسا، ولئن نبهت مباحث أولئك السياسيين بعض الاذكياء الى هذا الامر العظيم ، فلم يكن في استطاعها أن تحفز همة أحد من امرائهم ولا من كبراء الهمم والعقول فيهم الى السعي له والدعوة اليه، ولئن وجد أفراد منهم السلطان عبد الحميد أحبوا أن يستفيدوا من حذر الاوربيين منه بايهامهم إياهم أنهم يعدون له عدته ، ويتخذون له أهبته ، فقد كان من تأثير هذا الايهام مبادرة أولئك الحازمين الى قطع طرقه ، والاسراع بالقضاء الى ما بقي لتلك الشعوب من ذماء الاستقلال ورمقه

إي وربي ، ان الشعوب الاسلامية لم تنجب من بعد الحروب الصليبية رجلا عظيما عالي الهمة، يسعى الى جمع كلمة المسلمين وتوحيد قوامهم المتفرقة، لدفع عوادي الذل والاستعباد عنهم ، لا بدعوة علمية اجتماعية ، ولا بتأليف قوة عسكرية عصرية ، الا ﴿ السيد جمال الدين الحسيني الافغاني ﴾ حكيم الشرق ، وحافزه لتحرير نفسه من الرق ، فهو الذي اهتدى بذكائه ونظره البعيد وفكره الوقاد، الى تدارك الاسلام، وانقاذ الشرق من الاستعباد ، بالسعي الى هذا الاتحاد ، فطاف لاجله البلاد ، ونادى به على رؤوس الاشهاد ، فلم تكن دعوته

في عصره صرخة في واد ، أو نفخة في رماد ، بل كان في خلل الرماد وميض نار ، طار شرارها كل مطار، حتى عم بعده الاقطار

ألقى بذور دعوته الاولى بمصر وكانت عنايته فيها موجهة الى إحياء الشعب المصري لتكون مصر مركز الدعوة العامة ، وتكون دولة وادي النيل هي الدولة القوية التي تعتز بها الامة ، وتكون النواة لتنفيذ مذهبه السياسي في اعزاز الاسلام وتقليص ظل الدولة البريطانيـة عن رؤوس المسلمين .

وبعد ن نفي بتأثير الدسائس الانكليزية من مصر بث الدعوة الفجمية العروة الوثقى وانشأ جريدتها في باريس للدعوة العامة الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية — وكان جل سعيه وعمله فيما وراء الغاية العامة الدفاع عن مسألة مصر عقب الاحتلال ؛ وقد عني عناية خاصة بجمع الكلمة والتأليف بين الشعبين المتجاورين اللذين نشأ هو وكثير من آبائه وأجداده في بلادهما — أعني الشعب الافغاني والشعب الايراني وقد بينت جريدة العروة الوثقى — التي كانت تتجلى بها آراؤه بقلم مريده وصديقه شيخنا الاستاذ الامام (رحمهما الله تعالى) — الغاية وأشرعت السبيل ، وبينت الوسائل ، وارشدت الى إزالة الموانع ، وكان من رأيه أن تكون مكة المكرمة هي مركز الدعوة

كان لهذه الدعوة تأثير عظيم في العالم الاسلامي حتى كان العقلاء وأهل الرأي من قرائها في الاقطار المختلفة يعتقدون أنها لا بد أن تحدث انقلابا عظيما في الشرق — عممنا هـذا من شيخنا الشيخ حسين الجسر الشهير في طرابلس ، ورواه لنا محمد علي بك المؤيد عن الزعيم الكبير السيد سليمان الكيلاني نقيب بغداد في ذلك العهد . بيد أن مصادرة الدولة البريطانية للجريدة ومنعها من مصر والهند وغيرها من أقطار المشرق كانت سببا لترك الاستمرار على اصدارها فكان كل ما صدر منها ١٨ عددا . ولكنه لم يترك الدعوة والسعي الى الغاية بل بثها في البلاد الفارسية ثم في القسطنطينية ،

ثم قضى السيد وما قضى منها وطرا . ولم يقم بعده أحد بالدعوة ، والسعي لها بمثل تلك القوة ، بل ضعفت الرابطة الاسلامية ، بما تغلب عليها من العصبية الجنسية ، ولا سيما في الشعوب الاعجمية ، بيد أن القوي في الضار قد يكون قويا في النافع ، فهذه الشعوب التي كانت في غاية التعادي الجنسي ، وكانت قبل ذلك فيما هو أشد منه من التعادي المذهبي — هذا سني وهذا شيعي — ثابت الآن الى رشدها ، وعلمت

كل منها أن الوحدة هي التي تحفظ جنسها ودينها ومذهبها ، فمد كل منها يده الى الآخر يصافحه مصافحة الاخ لاخيه ، ويعاهده معاهدة الولي لوليه ،

تعاقد الترك والفرس والافغان ، وشدوا معاقد حلفهم بسخارى وخيوة وآذربيجان، وبثوا دعاية الولاية والبراءة في سائر الشعوب الاسلامية في الشرق ، يؤيدها بالمال والرجال مسلمو الهند، بل شدوا أواخي الجامعة الشرقية، يوثنيي الهند ونصارى الروسية الملشفية ، التي سخرها الله لجهاد تأليه الثروة والعظمة الاوربية، والغرض العام لهذه الامم كلها تحرير الشرق من رق الجزيرة البريطانية، التي طمحت باستعبادها له الى منازعة الربوبيـة ، وما يتلو ذلك من تحرير سائر الشعوب المستضعفة .

كل هذا — والشعب العربي الذي ضعفت رابطته الجنسية بتعالم الاسلام، ووحدته الدينية باختلاف المذاهب وتنازع الحكام ، مصر على تفرقه غافل عما يراد به، حتى في مهد الاسلام من جزيرته، وقد رأى سوء عاقبة ذلك في سلب الاجانب لاستقلال أخصب بلاده ، ومحاولة انشاب براثنه في باقيها ، والاحاطة بها من أطرافها، وهو مع ذلك في غمة من أمره لا يدري كيف يخرج منها . وانما الذنب في ذلك على ملوكهم وأمرائهم، الجاهلين بكنه تأثير دسائس أعدائهم، وتسخيرهم لمنع الجامعات الاسلامية والشرقية والعربية جميعا من حيث لا يشعرون، ولكن هذه السياسة الخبيثة ستنتهي بالخيبة . ولن ينقذ الانكليز من سوء عاقبة عداوتها الاسلام، اصطناع بضعة رهط من زعماء العرب بعضهم لبعض عدو، وودهم كله سلبي ، وهم عاجزون عن اقناع شعوبهم بصداقة الانكليز لهم ، مع احتلالها لاخصب بلادهم وإلقائها للفتن بينهم ، ولا هم قانعون بذلك فيقنعوا غيرهم، بل كل واحد منهم يكابر نفسه ويتأول لها ، ويخفي مودته ويتعذر عما ظهر منها. وانما تنقذ الانكليز سياسة أخرى عموا عنها وصموا وقد نصحوا وأنذروا، لا أقول سياسة الصدق والوفاء للعرب بل التحول عن محاولة استعبادهم من حدود برقة الى العراق وعمان ، وقتل الاسلام في مشرق نوره ومواطن حضارته، مع القضاء على بلاد الترك أمنع حصونه وأمضى أسلحته. فان كان الترك قد أفلتوا من الشرك الذي وقع فيه وحيد الدين ، فسيفلت العرب مما وقع فيه أمثاله من المخدوعين ، (ولتعلمن نبأه بعد حين)

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

من مقالات العروة الوثقى في الحث على الجامعة الاسلامية نشر منذ ٤٠ سنة (*)

إن للمسلمين شدة في دينهم، وقوة في إيمانهم، وثباتاً على يقينهم، يباهون بها من عداهم من الملل. وإن في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض ومما رسخ في نفوسهم أن في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين، ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين، ويشفقون على أحدهم أن يمرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء، وهذه الحالة كما هي في علمائهم، متمكنة في عامتهم، حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا أن واحداً ممن وسم بسمة الاسلام في أي قطر ومن أي جنس صدا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرّق وتأسف، يلهج بالحوقلة والاسترجاع، ويعد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به، بل وعلى جميع من يشاركه في دينه، ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئين من السنين، لايتمالك قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان، ويستفزه الغضب ويدفعه لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب، أو يحكي عن عجيب

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم وبعيدهم، ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم، ان لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام. ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح، وارتكاب كل صعب، واقتحام كل خطب، ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم في حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خاصة لهم من دون غيرهم، وبالغت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم الى حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره، لوجبت عليه الهجرة من دار حربه. وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية، يعرفها أهل الحق ولا يغير منها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل زمان

(*) نشرت في العدد الخامس الذي صدر بباريس في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان، وهو هاتف الحق الذي بقي له من إلهامات دينه. ومع كل هذا نرى اهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يلم بالبعض الآخر، ولا يألمون لما يألم له بعضهم، فأهل بلوجستان كانوا يرون حركات الانكليز في افغانستان على مواقع انظارهم ولا يجيش لهم جأش ولم تكن لهم نعرة على اخوانهم، والافغانيون كانوا يشهدون تداخل الانكليز في بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتململون. وان جنود الانكليز تضرب في الاراضي المصرية ذهابا وايابا تقتل وتفتك ولا ترى نجدة في نفوس اخوانهم المشرفين على مجاري دمائهم، بل السامعين لخريرها من حلاقيمهم، الذين احمرت احداقهم من مشاهدها بين ايديهم وتحت ارجلهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم

تمسكُ المسلمين بتلك العقائد واحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب، ويدعو الى الحيرة ويسوق الى بيان السبب، فخذ مجملا منه: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية، وسائر المعلومات والمدركات والوجدانيات النفسية — وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها تصدر بتقدير العزيز العليم — لكن الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها في الانفس وتطبع الانفس عليها، حتى يصير ما يعبر عنه بالملكة والخلق وتترتب عليه الآثار التي تلائمها

نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده، الا أن ما ينعكس الى مرايا عقله من مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فكل شهود يحدث فكرا، وكل فكر يكون له أثر في داعية، وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى الفكر ولا ينقطع الفعل والانفعال بين الاعمال والافكار، مادامت الارواح في الاجساد، وكل قبيل هو للآخر عماد

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل، ولا أثر لها في الاعتصاب والالتحام لولا ما تبعث عليه الضرورات، وتلجيء اليه الحاجات، من تعاون الانسباء والعصبة على نيل المنافع، وتضافرهم على دفع المضار، وبعد كرور الايام على المضافرة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذاً يصرفه في آثارها بقية الاجل، ويكون انبساط النفس لعون القريب وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم

أو نكبة جارياً مجرى الوجدانيات الطبيعية، كالاحساس بالجوع والعطش، والري والشبع، بل اشتبه أمره على بعض الناظرين فعده طبيعياً: فلو أهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها، ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة ويؤكدها أو وجد صاحب النسب من يظاهره في غير نسبه، أو ألجأته ضرورة الى ذلك، ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها الا صورة في العقل تجري مجرى المحفوظات من الروايات والمنقولات. وعلى مثال ماذكرنا في رابطة النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الامر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض. أن لم يصحب العقد الفكري ملجيء الضرورة أو قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه ويعود أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من أشكالها فلن يكون منشأ لآثاره، وانما يعد في الصور الصور العقلية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا

بعد تدبر هذه الاصول البينة، والنظر فيها بعين الحكمة، يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ما هم فيه مع شدتهم و دينهم. والعلة في تباطؤهم عن نصرة اخوانهم، وهم أثبت الناس في عقائدهم، فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الاغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الاعمال، وانقطع التعارف بينهم، وهجر بعضهم بعضا هجراً غير جميل. فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل، فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عمن يبعد عنهم، والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا، بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم، ولا صلة تجمعهم، الا ما يكون بين أفراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر. أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم، بل لا انسباب بينهم، وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين؟ اليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين. اليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق؟

هذا التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لا علاقة بين قوم منهم وقوم، ولا بلد وبلد، الا طفيف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم، ويعتقدون مثل اعتقادهم، وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام. وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الى الاسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياع حق مسلم على يد أجنبي عن ملته. لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته

كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية صحيح المزاج فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال، وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم

بدأ هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقد قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم. كثرت بذلك المذاهب، وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الاديان. ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام: خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب وأموية في أطراف الاندلس. تفرقت بهذا كلمة الامة وانشقت عصاها، وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيبتها من النفوس، وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكيزخان واولاده، وتيمورلنك وأحفاده. وايقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا، حتى أذهلوهم عن أنفسهم. فتفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً. وانفرد كل بشأنه. وانصرف الى ما يليه. فتبدد الجمع الى آحاد، وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعياً إما الى ملك أو مذهب. فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة. وتبعث على اشتباك الوشيجة، وصارما في العقول منها صورا ذهنية تحويها مخازن الخيال، وتلحظها الذاكرة عند عرض ما في خزائن النفس من المعلومات. ولم يبق من آثارها إلا أسف وحسرة يأخذان

بالقلوب عند ماتنزل المصائب ببعض المسلمين بعد أن ينفذ القضاء، ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان. وما هو الا نوع من الحزن على الفائت كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة لتدارك النازلة، ولا دفع الفائلة

وكان من الواجب على العلماء قياماً بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك بتمكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم، حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطاً لروح حياة الوحدة، ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة اذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر، ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ في جميع أنحاء الارض بعضهم ببعض، ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم، ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الاثر، ويجمعوا أطراف الوشائج الى معقد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة وأشرفها معهد بيت الله الحرام، حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل، وتطرق الاجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها، ويكون كذلك أدعى لنشر العلوم وتنوير الافهام وصيانة الدين من البدع، فان إحكام الربط انما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف، فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته وحصرها قبل فشوها بين العامة وليس يخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها، واقتدارها على دفع ما يغشاها من النوازل.

الا أنا نأسف غاية الاسف اذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل، وان التفتت اليها في هذه الايام طائفة من أرباب الغيرة، ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة، ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم، ويجمع شتيتهم، فقد دارستهم التجارب ببيان لا نزيد عليه. وما هو بالعسير عليهم أن يبثوا الدعاة الى من يبعد عنهم، ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم، ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة، أو ما يخشى أن يمسها بضرر. ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سعادة، والرمق باق والآمال مقبلة والى الله المصير.

الاحكام الشرعية

﴿ المتعلقة بالخلافة الاسلامية ﴾ (*)

٢

تتمة الكلام في الشورى في الاسلام

(ومنها) مارواه الطبراني في الاوسط وابو سعيد في القضاء عن علي قال قلت يا رسول الله ان عرض لي أمر لم ينزل قضاء في أمره ولا سنة كيف تأمرني ؟ قال « تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تقض فيه برأيك خاصة »

(ومنها) مافي صحيح البخاري عن ابن عباس : وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شباباً . وذكر واقعة في رجوع عمر الى قول من يذكره بالقرآن ، وقال : وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل — وما في الصحيحين وغيرهما من استشارة عمر في مسألة الوباء لما خرج الى الشام وأخبروه اذ كان في (سرغ) ان الوباء وقع في الشام ، فاستشار المهاجرين الاولين ثم الانصار فاختلفا . ثم طلب من كان هنالك من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فاتفقوا على الرجوع وعدم الدخول على الوباء، فنادى عمر بالناس : اني مصبح على ظهر — (أي مسافر ، والظهر الراحلة) فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان احداهما خصبة والاخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم جاء عبد الرحمن بن عوف فأخبره بالحديث المرفوع الموافق لرأي شيوخ قريش

٩ — التولية بالاستخلاف والعهد

اتفق الفقهاء على صحة استخلاف الامام الحق والعهد منه بالخلافة الى من يصح العهد اليه على الشروط المعتبرة فيه [1] أي في الامام الحق ، فالعهد

(*) تابع لما في الجزء العاشر م٢٣ (١) آخر ص ٩ من الاحكام السلطانية

والاستخلاف لا يصح الا من امام مستجمع لجميع شروط الامامة لمن هو مثله في ذلك . هذا شرط العهد الى الفرد ، واستدلوا على ذلك باستخلاف أبي بكر لعمر ، وأما العهد الى الجمع وجعله شورى في عدد محصور من أهل الحل والعقد ، فاشترطوا فيه أن تكون الامامة متعينة لاحدهم ، بحيث لا مجال لمنازعة أحد لمن يتفقون عليه منهم ، وهو الموافق لجعل عمر إياها شورى في الستة (رض) قال الماوردي : وانعقد الاجماع عليها أصلا في انعقاد الامامة بالعهد وفي انعقاد البيعة بعدد يتعين فيه الامامة لاحدهم باختيار أهل الحل والعقد اه (آخر ص ٩١)

وقد تمسك بهذا أئمة الجور وخلفاء التغلب والمطامع ولم يراعوا فيه ماراعاه من احتجوا بعمله من استشارة أهل الحل والعقد والعلم برضاهم أولا وامتناع من كان توقف فيه ، والروايات في هذا معروفة في كتب الحديث ومن أجمعها (كنز العمال) وكتب التاريخ والمناقب — وأي عالم أو عاقل يقيس عهد أبي بكر الى عمر في تحري الحق والعدل والمصلحة — بعد الاستشارة فيه ورضاء أهل الحل والعقد به — على عهد معاوية واستخلافه لنزيد الفاسق الفاجر بقوة الارهاب من جهة ورشوة الزعماء من أخرى ؟ ثم ماتلاه واتبعت فيه سنته السيئة [1] من احتكار أهل الجور والطمع للسلطان ، وجعله إرثاً لاولادهم أو لاوليائهم كما يورث المال والمتاع ؟ ألا إن هذه هي أعمال عصبية القوة القاهرة المخالفة لهدي القرآن ، وسنة الاسلام

ذكر الفقيه ابن حجر في التحفة اختصاص الاستخلاف بقسميه (الفردي والجمعي) بالامام الحق واعتماده ثم قال وقد يشكل عليه مافي التواريخ والطبقات من تنفيذ العلماء وغيرهم لعهود بني العباس مع عدم استجماعهم للشروط بل نفذ السلف عهود بني أمية مع انهم كذلك — الا أن يقال هذه وقائع محتملة انهم انما نفذوا ذلك للشوكة وخشية الفتنة لا للعهد بل هو الظاهر اه

وقال الماوردي في العهد المشار اليه في أول هذه المسألة : ويعتبر شروط الامامة في المولى من وقت العهد اليه . وإن كان صغيراً أو فاسقاً وقت العهد وبالغاً عدلا عند موت المولي لم تصح خلافته حتى يستأنف أهل الاختيار

(١) سنذكر بعض الروايات عن المحدثين في استخلاف يزيد بن معاوية

بيعته اه ونقل الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث عبادة في المبايعة — وقد تقدم — انه لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء ، وان الخلاف في الخروج على الفاسق فيما اذا كان عادلا وامامته صحيحة ثم أحدث جوراً اه

وقد علم مما اسلفنا ان العهد والاستخلاف بشروطه متوقف على اقرار اهل الحل والعقد له ، واستدلالهم يقتضيه وان لم يصرحوا واما المتغلبون بقوة العصبية فمهدم واستخلافهم كامامتهم ، وليس حقاً شرعياً لازماً لذاته ، بل يجب نبذه كما تجب إزالتها ، واستبدال إمامة شرعية بها ، عند الامكان والامان من فتنة اشد ضررا على الامة منها ؛ واذا زالت بتغلب آخر فلا يجب على المسلمين القتال لاعادتها

١٠ — طالب الولاية لا يولى

من هدي الاسلام ان طالب الولاية والامارة لاجل الجاه والثروة لا يولى فقد قال النبي (ص) لرجلين طلبا أن يؤمرهما « لن نستعمل على عملنا من أراده » وفي رواية « اننا لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه » رواه الشيخان البخاري بهذا اللفظ ومسلم بلفظ « انا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه » وفي رواية للامام احمد « إن أخونكم عندنا من يطلبه » فلم يستعمل بهما في شيء حتى مات . وسبب هذا المنع القطعي المؤكد بالقسم ان طلاب الولايات ولا سيما أعلاها وهي الامامة والحريصون عليها هم محبو السلطة للعظمة والتمتع والتحكم في الناس وقد ظهر انهم هم الذين أفسدوا أمر هذه الامة وأولهم من الجماعات بنو أمية وان كان فيهم أفراد ، بل منهم رجل الرجال وواحد الآحاد — عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين — ولكنه لم يكن حريصاً على الامامة ولو أمكنه لاعادها الى العلويين ،

وذكر الحافظ في شرح الحديث المذكور آنفا كلمة حق في معناه عن المهلب قال : الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت الاموال والفروج وعظم الفساد في الارض بذلك . وهنالك أحاديث أخرى .

ولو حافظ المسلمون على اصل الشرع الذى قرر في عهد الراشدين في أمر الخلافة لما وقعت تلك الفتن والمفاسد ولعم الاسلام الارض كلها . وقد قال عالم ألماني لشريف حجازي في الآستانة : انه كان ينبغي لنا أن نضم لمعاوية تمثالا

من المذهب في عواصمنا ، لانه لو لم يحول سلطة الخلافة عما وضعها عليه الشرع وجرى عليه الراشدون لملك العرب بلادنا كلها وصيروها اسلامية عربية

١١ — إمامة الضرورة والتغلب بالقوة

اتفق محققو العلماء على أنه لا يجوز ان يبايع بالخلافة الا من كان مستجمعا لما ذكروه من شرائطها وخاصة العدالة والكفاءة والقرشية ، فاذا تعذر وجود بعض الشروط تدخل المسألة في حكم الضرورات والضرورات تقدر بقدرها ، فيكون الواجب حينئذ مبايعة من كان مستجمعا لاكثر الشرائط من أهلها ، مع الاجتهاد والسعي لاستجماعها كلها ، قال الكمال بن الهمام في المسايرة : والمتغلب تصح منه هذه الامور للضرورة كما لو لم يوجد قرشي عدل أو وجد ولم يقدر على توليته لغلبة الجورة اه [١] قال هذا ردا على جماعة الحنفية في استدلالهم على عدم اشتراط العدالة في الأئمة بقبول بعض الصحابة للولاية والقضاء من ظلمة بني أمية كمروان وصلاتهم معهم ، فراده بالامور — القضاء والامارة والحكم كما قاله شارح المسايرة

وقال السعد في شرح المقاصد : وههنا بحث وهو انه اذا لم يوجد امام على شرائطه وبايع طائفة من أهل الحل والعقد قرشيا فيه بعض الشرائط من غير نفاذ لاحكامه ، وطاعة من العامة لاوامره ، وشوكة بها يتصرف في مصالح العباد ، ويقتدر على النصب والعزل لمن أراد ، هل يكون ذلك إتيانا بالواجب ؟ وهل يجب على ذوي الشوكة المطيعة من ملوك الاطراف ، المتصفين بحسن السياسة والعدل والانصاف ، ان يفوضوا اليه الامر بالكلية ، ويكونوا لديه كسائر الرعية ؟ وقد يتمسك بمثل قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وقوله (ص) « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » فان وجوب الطاعة والمعرفة يقتضي الحصول . اه [٢]

وانما فرض ان المبايعين في هذه الصورة بعض أهل الحل والعقد لانه اذا بايعه جميعهم ومنهم الملوك الذين ذكرهم تمت شوكته ونفذ حكمه قطعا ، وهذه الصورة تصدق على بعض خلفاء بني أمية وبني العباس الذين كانت تنقصهم العدالة

(١) ص ٢٧٨ و ٢٧٩ (٢) ص ٢٧٥ ج ٢

أو العلم الاجتهادي، وكان الجمهور يوجبون طاعتهم، ويصححون للضرورة إمامتهم اذا لم تتيسر بيعة أمثل منهم وان كان موجودا ، والمعتمد عند الحنفية ان امامتهم صحيحة مطلقاً لان العلم والعدالة عندهم ليست من شروط الانعقاد كما تقدم في محله . قال الكمال بن الهمام محقق الحنفية في المسايرة تبعا للغزالي : (الاصل العاشر) لو تعذر وجود العلم والعدالة فيمن تصدى للامامة — بأن تغلب عليها جاهل بالاحكام أو فاسق — وكان في صرفه اثارة فتنة لاتطاق حكمنا بانعقاد امامته كي لانكون كمن يبني قصرا ويهدم مصرا، واذا قضينا بنفوذ قضايا أهل البغي في بلادهم التي غلبوا عليها لمسيس الحاجة فكيف لانقضي بصحة الامامة عند لزوم الضرر العام بتقدير عدمها . واذا تغلب آخر على ذلك المتغلب وقعد مكانه انعزل الاول وصار الثاني اماماً اه

وقال السعد في شرح المقاصد بعد ذكر شروط الامامة وآخرها النسب القرشي مانصه : وأما اذا لم يوجد في قريش من يصلح لذلك أو لم يقتدر على نصبه لاستيلاء أهل الباطل وشوكة الظلمة وأرباب الضلالة فلا كلام في جواز تقلد القضاء وتنفيذ الاحكام واقامة الحدود وجميع مايتعلق بالامام من كل ذي شوكة — كما اذا كان الامام القرشي فاسقاً أو جائراً أو جاهلا فضلا عن أن يكون مجتهداً . وبالجملة مبنى ماذكر في باب الامامة على الاختيار والاقتدار . وأما عند العجز والاضطرار ، واستيلاء الظلمة والكفار والفجار ، وتسلط الجبابرة الاشرار، فقد صارت الرئاسة الدنيوية تغلبية ، وبنيت عليها الاحكام الدينية المنوطة بالامام ضرورة ، ولم يعبأ بعدم العلم والعدالة وسائر الشرائط ، والضرورات تبيح المحظورات ، والى الله المشتكى في النائبات ، وهو المرتجى لكشف الملمات ، اه بحروفه [1]

والفرق بين هذه الخلافة وماقبلها بعد كون كل منهما جائزاً للضرورة أن الاولى صدرت من أهل الحل والعقد باختيارهم لمن هو امثل الفاقدين لبعض الشرائط، ولذلك فرضه المحقق التفتازاني قرشيا اذ القرشيون كثيرون دائما. وأما الثانية فصاحبها هو المعتدي على الخلافة بقوة العصبية لا باختيار أهل الحل والعقد له، لعدم وجود من هو أجمع للشرائط منه، فذاك يطاع اختيارا، وهذا يطاع اضطرارا،

« ١ » ص ٢٧٧ منه

ومعنى هذا ان سلطة التغلب كاكل الميتة ولحم الخنزير عند الضرورة تنفذ بالقهر وتكون أدنى من الفوضى . ومقتضاه انه يجب السعي دائما لازالتها عند الامكان ، ولا يجوز ان توطن الانفس على دوامها ولا أن تجعل كالكرة بين المتغلبين يتقاذفونها ويتلقونها ، كما فعلت الامم التي كانت مظلومة وراضية بالظلم لجهلها بقوتها الكامنة فيها ، وكون قوة ملوكها وامرائها منها ، ألم تر الى من استناروا بالعلم الاجتماعي منها كيف هبت لاسقاط حكوماتها الجائرة وملوكها المستبدين ، وكان آخر من فعل ذلك الشعب التركي ، ولكنه أسقط نوعاً من التغلب بنوع آخر عسى أن يكون خيرا منه ، وانما فعله تقليدا لتلك الامم الابية ، اذ كان جماهير علماء الترك والهند ومصر وغيرها من الاقطار ، يوجبون عليهم طاعة سلاطين بني عثمان ، ماداموا لا يظهرون الكفر والردة عن الاسلام ، مهما يكن في طاعتهم من الظلم والفساد ، وخراب البلاد ، وارهاق العباد ، عملا بالمعتمد عند الفقهاء بغير نظر ولا اجتهاد ، وهذا هو أسباب اعتقاد الكثير منهم ، أن سلط الخلافة الشرعية ، تحول دون حفظ الملك والحياة الاستقلالية ، وسنفصل الكلام في هذا بعد وفيما يجب لجعل الحكم شرعياً اسلامياً

١٢ — مايخرج به الخليفة من الامامة

قال الماوردي بعد بيان ما يجب على الامام — وقد تقدم — : واذا قام الامام بما ذكرناه من حقوق الامة فقد ادى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم ووجب له عليهم حقان الطاعة والنصرة — مالم يتغير حاله

« والذي يتغير به حاله فيخرج به عن الامامة شيئان أحدهما جرح في عدالته ، والثاني نقص في بدنه ، فأما الجرح في عدالته فهو على ضربين (احدهما) ما تابع فيه الشهوة ، (والثاني) ماتعلق فيه بشبهة ، فأما الاول منهما فتعلق بأفعال الجوارح وهو ارتكابه للمحظورات ، واقدامه على المنكرات ، تحكيما للشهوة وانقياداً للهوى ، فهذا فسق يمنع من انعقاد الامامة ومن استدامتها ، فاذا طرأ على من انعقدت امامته خرج منها ، فلو عاد الى العدالة ، لم يعد الى الامامة ، الا بعقد جديد

« وأما الثاني منهما فتعلق بالاعتقاد والمتأول بشبهة تعترض فيتأول لها خلاف الحق — فقد اختلف العلماء فيها فذهب فريق منهم الى أنها تمنع من انعقاد الامامة ومن استدامتها ، ويخرج بحدوثه منها . . . الخ (ص ١٦)

(المنار: وبعد تفصيل الخلاف في هذه المسألة وهي الابتداع بالتأول ذكر القسم الثاني مما يمنع من الخلافة وهو نقص البدن فجعله ثلاثة اقسام نقص الحواس ونقص الاعضاء ونقص التصرف وقسمها أيضا الى أقسام واطال في بيان أحكامها والذي تقتضي الحال نقله منه نقص التصرف وقد عقد له فصلا خاصا قال فيه ما نصه)

« وأما نقص التصرف فضربان حجر وقهر ، فاما الحجر فهو ان يستولي عليه من اهوائه من يستبد بتنفيذ الامور من غير تظاهر بمعصية ، ولا مجاهرة بمشاقة ، فلا يمنع ذلك من امامته ، ولا يقدح في صحة ولايته ، ولكن ينظر في أفعال من استولى على اموره ، فان كانت جارية على أحكام الدين ومقتضى العدل جاز اقراره عليها ، تنفيذا لها ، وامضاء لاحكامها ، لئلا يقف من الامور الدينية ما يعود بفساد على الامة . وان كانت أفعاله خارجة عن حكم الدين ومقتضى العدل لم يجز اقراره عليها ، ولزمه أن يستنصر من يقبض يده ، ويزيل تغلبه ،

« وأما القهر فهو أن يصير مأسورا في يد عدو قاهر لا يقدر على الخلاص منه فيمنع ذلك عن عقد الامامة له لعجزه عن النظر في أمور المسلمين ، وسواء كان العدو مشركا او مسلما باغيا ، وللامة فسحة في اختيار من عداه من ذوي القدرة . وان أسر بعد ان عقدت له الامامة فعلى كافة الامة استنقاذه لما اوجبته الامامة من نصرته ، وهو على امامته ما كان مرجوا الخلاص مأمول الفكاك ، إما بقتال او فداء ،

« فان وقع الاياس منه لم يخل حال من اسره من ان يكونوا مشركين او بغاة المسلمين ، فان كان في اسر المشركين خرج من الامامة لليأس من خلاصه ، واستأنف أهل الاختيار بيعة غيره على الامامة

(وهنا ذكر مسألة عهده بالامامة الى غيره وما يصح منها وما لا يصح ثم قال)

« وان كان مأسورا مع بغاة المسلمين فان كان مرجو الخلاص فهو على امامته ويكون العهد في ولي العهد ثابتا وان لم يصر إماما ، وان لم يرج خلاصه لم يخل حال البغاة من احد امرين — إما ان يكونوا نصبوا لانفسهم اماما او لم

ينصبوا ، فان كانوا فوضى لا امام لهم فالامام المأسور على امامته لان بيعته لهم لازمة ، وطاعته عليهم واجبة ، فصار معهم كغيره مع اهل العدل ، اذا صار تحت الحبر ، وعلى اهل الاختيار ان يستنيبوا عنه ناظراً يخلفه ان لم يقدر على الاستنابة . فان قدر عليها كان احق باختيار من يستنيبه منهم . فان خلع المأسور نفسه او مات لم يصر المستناب اماماً لانها نيابة عن موجود فزالت بفقده .

« وان كان اهل البغي قد نصبوا لانفسهم اماماً دخلوا في بيعته ، وانقادوا لطاعته ، فالامام المأسور في ايديهم خارج من الامامة بالاياس من خلاصه ، لانهم قد انحازوا بدار تفرد حكمها عن الجماعة ، وخرجوا بها عن الطاعة ، فلم يبق لاهل العدل بهم نصرة ، ولا للمأسور معهم قدرة ، وعلى اهل الاختيار في دار العدل ان يعقدوا الامامة لمن ارتضوه لها ، فان خلص المأسور لم يعد الى الامامة لخروجها منها » اه (ص ١٩ و ٢٠)

ومن المعلوم ان كل هذا التفصيل في الامام الحق المستجمع للشروط القائم بالواجبات واما امامة التغلب فكلها تجري على قاعدة الاضطرار المتقدمة (رقم ١١)

وما ذكره من العزال الامام بالفسق قد اختلف فيه والمشهور الذي حققه الجمهور انه لا يجوز تولية الفاسق ولكن طروء الفسق بعد التولية لا تبطل به الامامة مطلقاً وبعضهم فصل : قال السعد في شرح المقاصد : واذا ثبت الامام بالقهر والغلبة ثم جاء آخر فقهره انعزل وصار القاهر إماما ولا يجوز خلع الامام بلا سبب ، ولو خلعوه لم ينفذ ، وان عزل نفسه فان كان يعجز من القيام بالامر انعزل والا فلا ، ولا ينعزل الامام بالفسق والاغماء وينعزل بالجنون وبالعمى والصمم والخرس وبالمرض الذي ينسيه العلوم . (ص ٢٧٢ ج ٢)

وقد استدل من قال بخلع بالكفر دون المعصية بحديث عبادة بن الصامت في المبايعة عند الشيخين قال : دعانا النبي (ص) فبايعناه فقال فيما اخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله « الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان »

وقد ذكر الحافظ في شرح قوله « الا أن تروا كفرا بواحا » روايات أخرى بلفظ المعصية والاثم بدل الكفر ثم قال . وفي رواية اسماعيل بن عبد الله عند احمد

والطبراني والحاكم من روايته عن أبي عبادة « سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ماتنكرون ، وينكرون عليكم ماتعرفون . فلاطاعة لمن عصى الله » وعند أبي بكر بن أبي شيبة من طريق أزهر بن عبدالله عن عبادة رفعه « سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لاتعرفون ويفعلون ما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعة »

وقال في شرح قوله « عندكم من الله فيه برهان » أي من نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل ، ومقتضاه انه لا يجوز الخروج عليهم مادام فعلهم يحتمل التأويل . قال النووي : المراد بالكفر هنا المعصية ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الامور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم الا ان تروا منهم منكراً محققا تعلمونه من قواعد الاسلام فاذا رأيتم ذلك فانكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم اه وقال غيره المراد بالأمر هنا المعصية والكفر فلا يعترض على السلطان الا اذا وقع في الكفر الظاهر . والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما اذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدح في الولاية الا اذا ارتكب الكفر ، وحمل رواية المعصية على ما اذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية فاذا لم يقدح في الولاية نازعة في المعصية بأن ينكر عليه برفق ، ويتوصل الى تثبيت الحق له بغير عنف ، ومحل ذلك اذا كان قادرا والله أعلم. ونقل ابن التين عن الداودي قال : الذي عليه العلماء في أمراء الجور انه اذا قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب والا فالواجب الصبر . وعن بعضهم لايجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء، فان أحدث جورا بعد ان كان عدلا فاختلفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع الا ان يكفر فيجب الخروج عليه . اه

وقد تقدم التحقيق في المسألة ونصوص المحققين فيها وملخصه ان أهل الحل والعقد يجب عليهم مقاومة الظلم والجور والانكار على أهله بالفعل ، وازالة سلطانهم الجائر ولو بالقتال اذا ثبت عندهم ان المصلحة في ذلك هي الراجحة والمفسدة هي المرجوحة ، ومنه ازالة شكل السلطة الشخصية الاستبدادية ، كازالة الترك لسلطة آل عثمان منهم ، فقد كانوا على ادعائهم الخلافة الاسلامية جائرين جارين في أكثر أحكامهم على مايسمى في عرف أهل هذا العصر بالملكية المطلقة ، فلذلك بدأ الترك بتقييدهم بالقانون الاساسي تقليدا لامم أوربة ، وسبب

ذلك جهل الذين قاموا بهذا الامر بأحكام الشرع الاسلامي (كمدحت باشا واخوانه) ثم قام الكماليون أخيراً باسقاط هذه الدولة ورفض السلطة الشخصية بجملتها وتفصيلها

١٣ دار العدل ودار الجور والتغلب

دار الاسلام وما يقابلها من دار الحرب معروفان ولهما أحكام كثيرة . وقد تكرر فيما نقلناه عن العلماء من أحكام الخلافة ذكر دار العدل وهي دار الاسلام التي نصب فيها الامام الحق ، الذي يقيم ميزان العدل ، تسمى بذلك اذا قوبلت بدار البغي والجور ، وهي ما كان الحكم فيها بتغلب قوة أهل العصبية من المسلمين وعدم مراعاة احكام الامامة الشرعية وشروطها. وأهل دار العدل هم الذين يسمون الجماعة ، وهم الذين يجب على جميع المسلمين اتباعهم واتباع امامهم اختيارا ، وعدم اتباع من يخالفهم الا اضطرارا ، وهذان الداران قد توجدان معا في وقت واحد ، وقد توجد احداهما دون الاخرى . ولكل منهما أحكام

أما دار العدل فطاعة الامام فيها في المعروف واجبة شرعا ظاهراً وباطنا ، ولا تجوز مخالفته الا اذا أمر بمعصية لله تعالى ثابتة بنص صريح من الكتاب والسنة دون الاجتهاد والتقليد ، ويجب قتال من خرج عليه من المسلمين أو بغى في بلاده الفساد بالقوة ، كغيره من القتال الواجب شرعا ، وتجب الهجرة من دار الحرب ومن دار البغي الى هذه الدار على من استضعف فيهما فظلم أو منع من اقامة دينه ، وعلى من تحتاج اليهم دار العدل لحفظها ومنعها من الكفار أو البغاة ، ولغير ذلك من المصالح الواجبة لاعزاز الملة ، اذا توقف هذا الواجب على هذه الهجرة . وأما دار البغي والجور فالطاعة فيها ليست قربة واجبة شرعا لذاتها ، بل هي ضرورة تقدر بقدرها وتقدم تفصيل القول فيها ،

ومن الظلم الموجب للهجرة منها على من قدر الى دار العدل ان وجدت حمل المتغلبين من يخضع لهم على القتال لتأييد عصبيتهم والاستيلاء على بعض بلاد المسلمين ، فمن قدر على التفصي من ذلك وجب عليه فأمرها دائما دائر على قاعدة ارتكاب أخف الضررين ، والظاهر ان يفرق بين قتالهم لاهل العدل فلا تباح الطاعة فيه بحال ، وبين قتال غيرهم كأمثالهم من المتغلبين وفيه تفصيل

لا محل لبيانه هنا . وأما الجهاد الشرعي فيجب مع أئمة الجور ، ومنه دفاعهم عن بلادهم اذا اعتدى عليها الكفار

قال رسول الله (ص) « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو الى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية ، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه — وفي رواية — يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمتي » رواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة. والعمية بضم العين وكسرها (لغتان) وتشديد الميم وفسروها بالكبر والضلال والمراد بها عظمة القوة والبطش، والتغلب الذي لا يراد به الحق، ولذلك بينه بأنه يغضب للعصبة وهي بالتحريك قوم الرجل الذين يعصبونه ويعتصب بهم أي يقوى ويشتد ، وفي رواية العصبية وهي نسبة الى العصبة

وأنت تعلم أن المتغلبين ما قاموا ولا يقومون الا بالعصبية ، المراد بها عظمة الملك العمية ، لا يقصدون بقتالهم إعلاء كلمة الله ، ولا اقامة ميزان الحق والعدل بين جميع الناس، وما أفسد على هذه الامة أمرها، وأضاع عليها ملكها، الا جعل طاعة هؤلاء الجبارين الباغين واجبة شرعا على الاطلاق، وجعل التغلب أمرا شرعيا كمبايعة أهل الاختيار من أولي الامر، وأهل الحل والعقد، للامام الحق، — وجعل عهد كل متغلب باغ الى ولده أو غيره من عصبته ، لاجل حصر السلطان والجبروت في أسرته ، حقا شرعيا واصلا مرعيا لذاته ، وعدم التفرقة بين استخلاف معاوية لولده يزيد الفاسق الفاجر بالرغم من انوف المسلمين ، وبين عهد الصديق الاكبر واستخلافه للامام العادل عمر بن الخطاب ذي المناقب العظيمة بعد مشاورة أهل الحل والعقد فيه واقناعهم به، والعلم بتلقيهم له بالقبول

١٤ — كيف سن التغلب على الخلافة

كان سبب تغلب بني أمية على اهل الحل والعقد من الامة أن قوة الامة الاسلامية الكبرى في عهدهم كانت قد تفرقت في الاقطار التي فتحها المسلمون وانتشر فيها الاسلام بسرعة غريبة وهي مصر وسورية والعراق ، وكان أهل هذه البلاد قد تربوا بمرور الاجيال على الخضوع لحكامهم المستعمرين من الروم

والفرس ، فلما صارت أزمّة أمورهم بيد حكامهم من العرب استخدمهم معاوية الذي سن سنة التغلب السيئة في الاسلام على الخضوع له بجعل الولاة فيهم من صنائعه الذين يؤثرون المال والجاه على هداية الاسلام ، واقامة ماجاء به من العدل والمساواة ، وصار أكثر أهل الحل والعقد الحائزين للشروط الشرعية محصورين في البلدين المكرمين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) وهم ضعفاء بالنسبة الى اهل تلك الاقطار الكبيرة الغنية التي تمول الحجاز وتغذيه

أخذ معاوية البيعة لابنه الفاسق يزيد بالقوة والرشوة ، ولم يلق مقاومة تذكر بالقول أو الفعل الا في الحجاز ، فقد روى البخاري والنسائي وابن أبي حاتم في تفسيره — واللفظ له — من طرق ان مروان خطب بالمدينة وهو على الحجاز من قبل معاوية فقال ان الله قد أرى أمير المؤمنين في ولده يزيد رأيا حسنا ، وان يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر ، وفي لفظ سنة أبي بكر وعمر : فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : سنة هرقل وقيصر ، ان أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده الخ وفي رواية سنة كسرى وقيصر ، ان أبا بكر وعمر لم يجعلاها في أولادهما ، ثم حج معاوية ليوطئ لبيعة يزيد في الحجاز فكلم كبار أهل الحل والعقد أبناء أبي بكر وعمر والزبير فخالفوه وهددوه ان لم يردها شورى في المسلمين ، ولكنه صعد المنبر وزعم انهم سمعوا وأطاعوا وبايعوا يزيد ، وهدد من يأبى به منهم بالقتل . وأخرج الطبراني من طريق محمد بن سعيد بن زمانة ان معاوية لما حضره الموت قال ليزيد قد وطأت لك البلاد ومهدت لك الناس ولست أخاف عليك الا أهل الحجاز فان رابك منهم ريب فوجه اليهم مسلم بن عقبة فاني قد جربته وعرفت نصيحته . قال فلما كان من خلافهم عليه ما كان — دعاه فوجهه فأباحها ثلاثا ، دعاهم الى بيعة يزيد وانهم أعبد له وقن في طاعة الله ومعصيته . وأخرج ابو بكر بن خيثمة بسند صحيح الى جويرية بن اسماء سمعت اشياخ أهل المدينة يتحدثون ان معاوية لما احتضر دعا يزيد فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فاني عرفت نصيحته الخ ذكره الحافظ في الفتح ، أباح عدو الله مدنية الرسول ثلاثة أيام فاستحق هو وجنده اللعنة العامة في قوله صلى الله عليه عند تحريمها كحرمة « من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا» أي فرضا ولا نفلا — متفق عليه — فكيف بمن استباح فيها الدماء والاعراض والاموال ؟؟

وكان الحسن البصري يقول أفسد أمر الناس اثنان عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف — وذكر مفسدة التحكيم — والمغيرة بن شعبة — وذكر قصته اذ عزله معاوية عن الكوفة فرشاه بالتمهيد لاستخلاف يزيد فأعاده — قال الحسن فمن أجل هذا بايع هؤلاء الناس لابنائهم ولولا ذلك لكانت شورى الى يوم القيامة اه ملخصاً من تاريخ الخلفاء

وهذا الذي قاله الحسن البصري من أئمة التابعين موافق لما قاله ذلك السياسي الالماني لاحد شرفاء الحجاز من أنه لولا معاوية لظلت حكومة الاسلام على أصلها ، ولساد الاسلام أوربة كلها ، وقد تقدم

قد اضطرب أهل الاهواء ومن لاعلم لهم بشيء من حقيقة الاسلام ونشأته الا من أخبار المؤرخين وهي أمشاج لم يكن يميز صحيحها من ضعيفها وحقها من باطلها الا الحفاظ من المحدثين ، فنجد من هؤلاء من يميل الى النواصب أو الخوارج ومن يرجح جانب غلاة الشيعة . وكان أستاذنا الشيخ حسين الجسر ينشد :

من طالع التاريخ مع انه لم يتمسك باعتقاد سليم
أصبح شيعياً والا فقل يخرج عن نهج الهدى المستقيم

ولذلك نجد في المصريين وغيرهم من المنتمين الى مذاهب السنة — على غلوّ دمائهم في تعظيم آل البيت — من هو ناصبي يفضل بني أمية على العلويين ، ويزعم أنهم أعزوا الاسلام وأقاموا الدين ، والتحقيق ان فتح الاسلام لكثير من البلاد في أيامهم الذي هو حسنتهم العظيمة كان أمرا اقتضته طبيعة الاسلام والاصلاح الذي جاء به لانقاذ البشر ؛ ولم يكن لغير عمر بن عبد العزيز منهم عمل انفرد به في اقامة الدين نفسه ، ولم يكن لهم عمل في ذلك مختص بدولتهم بحيث يقال انه لولاهم لرجع الاسلام القهقرى في العلم والعمل أو الفتح ، وما كان لهم من عمل حسن في هذه الامور ، فقد كان لمن بعدهم من العباسيين مثله ، وكلاهما تابع في الدين للخلفاء الراشدين لا متبوع ، وأما الامور المدنية التي استتبعت الفتح الاسلامي فلكل من الفريقين فيها عمل ، وانما سيئة الامويين

التي لا تغفر ما سنوه في قاعدة حكومة الاسلام ، فهي انتخابية شورى في أولي الاختيار من أهل الحل والعقد وقد نسخوها بالقاعدة المادية : القوة تغلب الحق ، فهم الذين هدموها ، وتبعهم من بعدهم فيها

ومن اطلع على كتب السنة يعلم أن الله تعالى قد أطلع رسوله (ص) على مستقبل امته ، وان ماوقع كان مما تقتضيه طباع البشر بحسب قدر الله وسننه ؛ وقد اخبر بذلك بعض اصحابه بالتلميح تارة وبالتصريح اخرى ومنهم أبو هريرة الذي روي عنه في الصحاح والسنن والمسانيد عدة أحاديث وآثار في ذلك وانه كان يستعيذ بالله من إمارة الصبيان ومن رأس الستين وهي السنة التي ولي فيها يزيد (وقد مات قبلها) وكان يقول : لو قلت لكم انكم ستحرقون بيت ربكم وتقتلون ابن نبيكم لقلتم لا اكذب من أبي هريرة . يعني قتل الحسين وقد وقع بعده . واخرج البخاري وغيره من طريق عمر بن يحيى بن سعيد بن عمرو ابن سعيد بن العاص الاموي — قال اخبرني جدي قال كنت جالسا مع أبي هريرة في مسجد النبي (ص) وممنا مروان (هو بن الحكم بن أبي العاص وكان أمير المدينة لمعاوية) قال أبو هريرة : سمعت الصادق المصدوق (ص) يقول «هلكة أمتي على أيدي غلمة من قريش » فقال مروان لعنة الله عليهم غلمة ، فقال أبو هريرة لو شئت أن أقول : بني فلان وبني فلان لفعلت . فكنت أخرج مع جدي الى بني مروان حين ملكوا الشام فاذا رآهم غلمانا أحداثا قال لنا عسى هؤلاء أن يكونوا منهم . قلنا أنت أعلم اه وانما أهلكوا الامة بافساد حكومتها الشرعية الاصلاحية ، والا فقد وسعوا ملكها بتغلب العصبية .

قال الحافظ في شرح الحديث قال ابن بطال : وفي هذا الحديث حجة لما تقدم من ترك القيام على السلطان ولو جار لانه (ص) أعلم أبا هريرة بأسماء هؤلاء ولم يأمرهم بالخروج عليهم ، مع اخباره ان هلاك الامة على أيديهم ، لكون الخروج أشد في الهلاك وأقرب الى الاستئصال من طاعتهم ، فاختار أخف المفسدتين ، وأيسر الامرين اه

ونقول ماذكر من القاعدة صواب وماقبله من تطبيق النازلة عليها لا يصح ، فقد قاوم أهل الحجاز فغلبوا على أمرهم ، والصواب ما بيناه من قبل من تفرق جماعة الاسلام العالمة العادلة في الممالك ، وكون من بقي منهم بالحجاز ضعفاء بالنسبة

الى المملكة الاسلامية الجديدة ، فلم يكن أمر الخروج ممكناً الا بعصبية كعصبيتهم كما فعل بنو العباس ، وقد مهد أكثر العلماء السبيل للاستبداد والظلم بمثل هذا الاطلاق في الخضوع لاهلهما، وقد تكرر بيان التحقيق فيه

ثم قال الحافظ : يتعجب من لعن مروان الغلمة المذكورين مع ان الظاهر أنهم من ولده ؛ فكأن الله تعالى أجرى ذلك على لسانه ليكون أشد في الحجة لعلهم يتعظون . وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد ، أخرجها الطبراني وغيره غالبها فيه مقال وبعضها جيد ، ولعل المراد تخصيص الغلمة المذكورين بذلك اه وقوله من ولده يصدق على الاكثر والا فان يزيد بن معاوية أول من كان يعني أبو هريرة بالغلمة والصبيان ،

وجملة القول ان مرادنا من هذا البحث بيان مفسدة اخراج الخلافة الاسلامية عما وضعها عليه الاسلام، وجعلها تابعة لقوة العصبية والتغلب، فهذه المفسدة هي أصل المفاسد والرزايا التي أصابت المسلمين في دينهم ودنياهم . وقد كررنا ذكرها لتحفظ ولا تنسى .

ومن أغرب الغرائب أن قصر المسلمون عن غيرهم من اهل الملل التي كانوا قد تاهوها في العلم والعمل بأن لم يقم أحد منهم بعمل منظم لاعادة حكم الاسلام كما بدأ، بل رضوا بالتفرق والانقسام، والظلم والاستذلال، من كل من تولى الامر في قطر من اقطارهم، حتى سهل عليهم مثل ذلك من غيرهم. فكانوا كما قلنا في المقصورة

من ساسه الظلم بسوط بأسه هان عليه الذل من حيث أتى

ومن بهن هان عليه قومه وماله ودينه الذي ارتضى

أفلم يأنهم نبأ ما فعل البابوات ، من تنظيم الجمعيات ، وجمع القناطير من الدنانير لاجل اعادة سلطانهم الديني ؟ ألا اننا قلدنا غيرنا فيما يضر ، ولم نقلد ولا استقللنا فيما ينفع في هذا الامر، ولا يزال فينا من يجدّ في نبذ ما بقي من قشور سلطان الخلافة الاسلامية بعد ذهاب لبابها ! ، ويظنون ان وجودها هو الذي أضعف ملكنا وانما أضعفه ذهابها . فان ما لا نزال ندعيه منها للمستبدين، كذب على الاسلام والمسلمين ، ولو استمسكنا بعروتها الوثقى لكنا سادة العالمين ، وقد عرف هذا كثير من علماء الاجانب ولم يعرفه أحد من زعمائنا السياسيين .

١٥ — وحدة الخليفة وتعدده

أصل الشرع أن يكون رئيس الحكومة وهو الامام واحدا وهذا أمر اجماعي عند جميع الامم كالمسلمين ، وسببه معروف وهو أن أمر الحكومة أولى من كل أمر عام له شعب كثيرة بأن تكون له جهة وحدة يضبط بها النظام وتتقى الفوضى . قال الكمالان في المسايرة وشرحها [1] (ولا يولى) الامامة (أكثر من واحد) لقوله صلى الله عليه وسلم « اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخر منهما » رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ، والامر بقتله محمول كما صرح به العلماء على ما اذا لم يندفع الا بالقتل ، فاذا أصر على الخلاف كان باغياً فاذا لم يندفع الا بالقتل قتل ، والمعنى في امتناع تعدد الامام أنه مناف لمقصود الامامة من اتحاد كلمة أهل الاسلام واندفاع الفتن ، وان التعدي يقتضي لزوم امتثال أحكام متضادة (قال الحجة — حجة الاسلام الغزالي — فان ولي عدد موصوف بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من الاكثر والمخالف باغ يجب رده الى الانقياد الى الحق، وكلام غيره من أهل السنة اعتبار السبق فقط فالثاني يجب رده) اه ودليل الجمهور نص الحديث

وقال الماوردي (في ص ٧) واذا عقدت الامامة لامامين في بلدين لم تنعقد امامتهما لانه لايجوز أن يكون للأمة امامان في وقت واحد وان شذ قوم فجوزره » اهوأقول انماجوزه من جوزه في حال تعذر الوحدة وهذا هو الخلاف الذي نقله العضد في المواقف اذقال « ولايجوز العقد لامامين في صقع متضايق الاقطار اما في متسعها بحيث لا يسع الواحد تدبيره فهو محل الاجتهاد » قال شارحه السيد الجرجاني: لوقوع الخلاف. واعتمد الجواز محشيه الفناري وهو من أشهر علماء الروم أو الترك.. وأما في حال امكان الوحدة فلا نعلم ان أحدا من العلماء الذين لعلمهم قيمة قال بجواز التعدد ، وقول من قال بالتعدد للضرورة أقوى من قول الجمهور بامامة المتغلب للضرورة ، اذا كان كل من الامامين أو الأئمة مستجمعا للشروط مقيما للعدل ، فان كان في هذه تفرق

(١) ص ٢٨٠ وتقدم ان المسايرة للكمال بن الهمام الحنفي واما شرحها المسمى بالمسامرة فهو للكمال بن ابي شريف الشافعي

فهو في غير عدوان ولا عداوة، وفي تلك بغي وجور ربما يفسد الدين والدنيا معا، بل أفسدهما بالفعل.

وقد بسط ترجيح هذا القول السيد صديق حسن خان بهادر في آخر كتابه الروضة الندية [1] قال

« واذا كانت الامامة الاسلامية مختصة بواحد والامور راجعة اليه مربوطة به كما كان في أيام الصحابة والتابعين وتابعيهم فحكم الشرع في الثاني الذي جاء بعد ثبوت ولاية الاول أن يقتل اذا لم يتب عن المنازعة. وأما اذا بايع كل واحد منهما جماعة في وقت واحد فليس أحدهما أولى من الآخر، بل يجب على أهل الحل والعقد أن يأخذوا على أيديهما حتى يجعل الامر في أحدهما. فان استمرا على التخالف كان على أهل الحل والعقد أن يختاروا منهما من هو أصلح للمسلمين، ولا تخفى وجوه الترجيح على المتأهلين لذلك

« وأما بعد انتشار الاسلام واتساع رقعته وتباعد أطرافه فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار [2] الولاية الى امام أو سلطان، وفي القطر الآخر أو الاقطار كذلك. ولا ينفذ لبعضهم أمر ولا نهي في غير قطره أو أقطاره التي رجعت الى ولايته — فلا بأس بتعدد الائمة والسلاطين، وتجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر، فاذا قام من ينازعه في القطر الذي ثبت فيه ولايته وبايعه أهله كان الحكم فيه أن يقتل اذا لم يتب [3] ولا يجب على أهل القطر الآخر طاعته ولا الدخول تحت ولايته لتباعد الاقطار، فانه قد لا يبلغ الى ما تباعد منها خبر امامها أو سلطانها ولا يدري من قام منهم أو مات، فالتكليف بالطاعة والحال هذه تكليف بما لا يطاق، وهذا معلوم لكل من له اطلاع على أحوال العباد والبلاد، فان أهل الصين والهند لا يدرون بمن له الولاية في أرض المغرب فضلا عن أن يتمكنوا من طاعته، وهكذا العكس، وكذلك

(١) ص ٤١٣ من النسخة المطبوعة بالمطبعة الاميرية بمصر سنة ١٢٩٦

(٢) كان ينبغي حذف هذا الجمع هنا وفيما بعده

(٣) يأتي هنا التفصيل السابق في الامام الحق وامام الضرورة والمتغلبين وداري العدل والجور

أهل ماوراء النهر لا يدرون بمن له الولاية في اليمن ، وهكذا العكس ، فاعرف هذا فانه المناسب للقواعد الشرعية ، والمطابق لما تدل عليه الادلة ، ودع عنك مايقال في مخالفته ، فان الفرق بين ما كانت عليه الولاية الاسلامية في أول الاسلام وما هي عليه الآن ، أوضح من شمس النهار ، ومن أنكر ذلك فهو مباهت لا يستحق أن يخاطب بالحجة لانه لا يعقلها والله المستعان » اه

هذا أوجه تفصيل قيل في جواز التعدد للضرورة وهو اجتهاد وجيه ويشبهه عند بعض الائمة تعدد الجمعة في البلد الواحد . فالأصل في الشرع أن يجتمع أهل البلد كلهم في مسجد واحد لان للشارع حكمة جلية في الاجتماع فان تعددت فالجمعة للسابق والمتأخر لا يعتد بجمعته . فمتى علم أنها أقيمت في مسجد لم يجز أن تقام ثانية فيه ولا في غيره من ذلك البلد ومن أقامها كانت صلاتهم باطلة وكانوا آثمين ولا تسقط عنهم صلاة الظهر ، وجوز التعدد للضرورة بقدرها أشد المانعين حظرا له في حال الاختيار

وظاهر كلام الجمهور الذين أطلقوا منع تعدد الامام الحق ، أن المسلمين الذين لا يستطيعون اتباع جماعة المسلمين وإمامهم في دار العدل لبعد الشقة وتعذر المواصلة، يعذرون في تأليف حكومة خاصة بقطرهم، ويكون حكمهم فيها حكم من أسلموا وتعذرت عليهم الهجرة الى دار الاسلام لنصرة الامام، ولا تكون دارهم مساوية لدار العدل وجماعة الامامة الذين أقاموا الشرع قبلهم، بل يجب عليهم اتخاذ الوسائل للالتحاق بها ، وجمع الكلمة ولو باستمداد السلطة منها ، ونصرة إمامها وجماعتها بقتال من يقاتلهم عند الامكان ، كما يجب على الجماعة مثل ذلك لهم في حال الاعتداء عليهم . واذا صح أن يكون حكمهم كحكم من لم يهاجروا الى دار الاسلام، فالحكم في نصرهم يدخل في قوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) على القول المختار بأن هذه الآية في الولاية العامة، لا فيما كان من ولاية التوارث خاصة ،

وجملة القول ان جمهور المسلمين على أن تعدد الامامة الاسلامية غير جائز، ومقتضاه ان الحكومة الاسلامية التي تتعدد للضرورة، وتعذر في ترك اتباع الجماعة هي حكومة ضرورة تعتبر مؤقتة وتنفذ أحكامها ولكن لا تكون مساوية

للاولى ، وان كانت مستجمعة لشروط الامامة مثلها ، وظاهر القول الآخر الذي عدوه شاذاً انها اذا كانت مستجمعة للشروط كانت امامة صحيحة ، وهذا هو التعدد الحقيقي ، ولكن لم يختلف اثنان في انها للضرورة ، فاذا زالت وجبت الوحدة. ولهذه المسائل أحكام كثيرة لا محل هنا للبحث فيها

ولكن لا بد من البحث في ثبوت هذه الضرورة ، فان بعد الشقة بين البلاد ، وتعذر المواصلات التي يتوقف عليها تنفيذ الاحكام ، مما يختلف باختلاف الزمان والمكان ، فلا يصح أن يجعل عذرا دائما لصدع وحدة الاسلام ، وقد «تقارب الزمان» في عهدنا هذا مصداقا لما ورد في بعض الاحاديث المنبئة بالاحداث المستترة في ضمائر الغيب ، فاتصلت الاقطار النائية بعضها ببعض ، في البر والبحر ، بالبواخر والسكك الحديدية ، ثم بالمراكب الهوائية (الطيارات والمناطيد) التي صارت تنقل البرد والناس مسافة مئات وألوف من الاميال ، في ساعة أو ساعات ، دع نقل الاخبار بقوة الكهرباء من أول الدنيا الى آخرها في دقائق معدودات ، ولو كانت هذه الوسائل في عصر سلفنا لملكوا العالم كله ؛ وهو مايطمع به بعض الامم اليوم ، وهذه شعوب الشمال في أوربة قد سادت معظم شعوب الجنوب والشرق ، و بين الفريقين منتهى ابعاد العمران من الارض.

ولكن المسلمين قصروا في هذه الوسائل ، فبعض بلادهم محرومة منها كلها ، وما يوجد في بعضها فهم عالة فيه على الافرنج ، وان شرعهم يفرضها عليهم فرضاً دينياً من وجوه أهمها أن كثيراً من الفرائض والواجبات تتوقف عليها أو لا تتم الا بها ، كحفظ المملكة والدفاع عنها ، والاعداد لاعدائها ما نستطيع من قوة كما أمرنا كتابنا ، وقد صار هذا من الفرائض العينية علينا ، لاستيلائهم على أكثر بلادنا ، ويتحقق الوجوب العيني على الرجال والنساء باستيلاء الاعداء على قرية صغيرة منها. دع توقف وحدة السلطة عليه بالخضوع لامام واحد يقيم الحق والعدل فينا ، منفذاً به احكام شرعنا

فامام وحدة الامام الواجبة واجبات كثيرة قد فرط فيها المسلمون من قبل ، بقبولهم احكام التغلب التي اضاعت جل ما جاء به الاسلام لاصلاح البشر في شكل حكومتهم وصفاتها وغير ذلك ، فأي واجب منها اقاموا حتى يطالبوا بهذا الواجب ؟

١٦ — وحدة الامامة بوحدة الامة

وحدة الامامة تتبع وحدة الامة، وقد مزقت العصبية الجنسية الشعوب الاسلامية بعد توحيد الاسلام إياها برب واحد، وإله واحد، وكتاب واحد، وشرع واحد، ولسان واحد، فأنى يكون لها امام واحد، وهي ليست امة واحدة؟

لا اقول ان هذا محال في نفسه، وانما اقول انني لا اعرف شعبا من شعوب المسلمين ولا جماعة من جماعاتهم المنظمة تقدره قدره، وتسعى اليه من طريقه، فهم في دركة من الجهل والتخاذل والتفرق المذهبي والتعصب الجنسي وضعف الهمة تقعدبهم عن التسامي الى مثل هذا المثل الاعلى في الكمال الديني والاجتماعي. وحمل البلاد الاسلامية ذات الحكومات المستقلة على الخضوع لرئيس واحد بالقوة العسكرية مما لا سبيل اليه في هذا الزمان ولا سبيل ايضاً الى اقناع حكومات هذه البلاد، باتباع واحد منهم بالرضى والاختيار،

والحكومات المستقلة الآن هي حكومات الترك والفرس والافغان ونجد واليمن العليا وهي النجود وما يتبعها واليمن السفلى والحجاز، وقد استقلت بعض الاقطار الاسلامية التي كانت تابعة لروسية القياصرة كبخاري وخيوه؛ ولكن استقلالها لم يستقر بعد، على انه قد اعترف به في المعاهدة التركية الافغانية، ومثلهما آذربيجان ودونهما كردستان، وهذه الحكومات الصغيرة تجزم الدولة التركية بأنها ستسودهن وتدغمهن في جامعتها الطورانية. وكذا سائر شعوب القوقاس الاسلامية، ولا توجد حكومة منهم يمكن أن تدعي الخلافة الدينية، فبقي الكلام في الحكومات العربية. والدول الثلاث الاعجمية

فأما أهل اليمن العليا فيعتقدون ان الامامة الشرعية الصحيحة محصورة فيهم منذ ألف سنة ونيف لان أئمتهم ينتخبون انتخاباً شرعيا تراعى فيه جميع الشروط الشرعية التي يشترطها أهل السنة مع زيادة مراعاة مذهبهم الزيدي، وان هذه الزيادة لا تعارض مذهب اهل السنة، وانهم يحكمون بالشرع ويقيمون الحدود. ومذهبهم في الفروع فلما يخالف مذاهب السنة الاربعة ولا سيما مذهب الحنفية. فلا مطمع في اقناعهم باتباع غيرهم، وقد قاتلهم الترك

عدة قرون ولم يستطيعوا ازالة امامتهم ، ولكن جيرانهم من العرب وسائر المسلمين لايعتدون بامامتهم ، وهم لايدعون اليها ولايستمدون لتعميمها: وقد اعترف بصحتها إمام حفاظ السنة وقاضي قضاة مصر وشيخ مشايخ الاسلام في ازهرها لعهده الحافظ احمد بن حجر العسقلاني في شرحه لحديث « لايزال هذا الامر في قريش مابقي منهم اثنان » من صحيح البخاري .

وأما السيد الادريسي فهو على كونه حاكما مستقلا . وسيداً علوياً . وفقيهاً أزهرياً ، ومرشداصوفيا.لم يدع منصب الخلافة فيما نعلم،ولم يدع رؤساء امارته الى مبايعته بها،ولكن اهل بيته وجماعته يعتقدون أنه أحق بها من شرفاء الحجاز ، ويلقبونه بالسيد الامام . ولقبه بعضهم بصاحب الجلالة الهاشمية ، وقد نقل لنا الثقات ان الملك حسينا اجتهد في استمالته للاعتراف بالتبعية للحجاز في السياسة الخارجية او بالاسم فقط .فلم يفلح كما انه لم يفلح سميه لدى الامام يحيى لذلك ، وقد استغرب كل منهما هذا السعي . . . . وبلغنا ان السيد الادريسي كان يفضل الاعتراف بسيادة الترك السياسية على بلاده في الامور الخارجية ، هرباً من دسائس الافرنج وتقوية للروابط الاسلامية

وأما حكومة الحجاز فهي جديدة ولا يعرف لها نظام ثابت وانما ملك الحجاز هو هنالك الحكومة وكل شيء ، وقد بايعه أهل مكة على انه ملك العرب ثم بايعه آخرون من سورية وغيرها بالخلافة وامارة المؤمنين على عهد وجود ولده فيصل فيها قبل اعلان استقلال دمشق ، وذلك كما يبايع أمثالهم في سورية ومصر الخليفة الجديد في الآستانة ، ويظهر أن ولده فيصل ملك العراق وولده عبد الله أمير شرق الاردن مصران على بذل نفوذهما لجعله هو الخليفة ، وأخذ المبايعة له من سورية والعراق عند سنوح الفرصة.وقد نشر في جريدة القبلة مقالات قديمة وحديثة في بطلان خلافة خلفاء الترك في الآستانة وتكفيرهم وتكفير حكومتهم . وقد كان في عمان مسجد متداع فأمر الامير عبد الله بتجديد بنائه فوضع له قاضيه الشيخ سعيد الكرمي تاريخاً في أبيات من الشعر نقشت على لوح من الرخام وضع فوق بابه قال في أولها :

حسين ابن عون من بني مجد عدنان فصار أمير المؤمنين بلا ثاني
أعاد له حق الخلافة بعد ما ثوت زمناً بالغصب في آل عثمان

وقد جعل هذا القاضي بناء حسين لما سماه مجد عدنان ، سبباً لصيرورته امير المؤمنين الذي لا ثاني له في بلاد الاسلام ، وهو لم يبن لعدنان مجدا ، ومجد عدنان ليس سبباً للخلافة ، وانما يرضي الناظم بذلك أميره الذى كان ولا يزال يسعى لتحقيق جعل والده خليفة ، ولكنه طعن في امامة يحيى حميد الدين الذى يخطب اميره ووالد اميره الملك وده ، لا في خلافة أعدائه الترك فقط ، ولا يستطيع احد ان يقرن به احدا من شرفاء الحجاز وأمثالهم . ممن يرون أنفسهم أهلا للامامة بأنسابهم فقط فانه على تواتر نسبه الهاشمي العلوي ، وصراحته بخلوه من شوائب الرق غير الشرعي . عالم مجتهد ، شجاع مدبر ، ذو شوكة ومنعة يقدر بهما على حفظ استقلاله ، وقد بويع بالامامة منذ عشرات من السنين ، والمعترفون بامامته يزيدون على عدد اهل الحجاز وكذا على أهل سورية كلها والعراق

ليس من غرضنا هنا مناقشة هؤلاء ولا غيرهم في دعاويهم ولا اغراضهم بل بيان الواقع في البلاد الاسلامية المستقلة وهو أن ملك الحجاز وأولاده يعتقدون أن الخلافة حقهم بنسبهم ومركزهم في الحجاز ، وانهم ينالونه بمساعدة الدولة البريطانية لهم ، وقد قال أحدهم عبدالله أمير شرق الاردن في الاسكندرية إن الخلافة لنا ، ونقلت الجرائد المصرية هذا عنه ورد عليه في بعضها

وأما أهل نجد فحنابلة سلفيون وهم يسمون أميرهم إماماً ولا يسمونه خليفة ولم يبلغني انه يدعي الخلافة العامة ، ولكنهم يعتقدون انه لا يوجد امير مسلم يقيم دين الله كما أنزله غيره ، وأن بلادهم دار العدل وجماعة المسلمين والهجرة اليها واجبة بشروطها . فلا مطمع في اتباعهم لغيرهم . وقد اتهموا بانتحال مذهب جديد نفرمنهم غيرهم ، وهم لا يبالون مايقال فيهم ، ولا يدعون احدا الى اتباعهم ، الا البدوا المجاورين لهم ، الذين لا يعرفون من الاسلام عقيدة ولا عملا ، فيدعونهم الى التدين وترك البداوة واتباع حكومتهم الاسلامية التي تقيم شرع الله وحدوده على مذهب امام السنة أحمد بن حنبل

فهذا ملخص ما نعلم من حال البلاد العربية المستقلة ، وتركنا ذكر حكومة عمان الاباضية لان نفوذ الانكليز فيها كبير فأهلها لا يهتدون سبيلا الى الارتباط بغيرهم ، ومذهب أكثرهم أباضي فهم من الخوارج الذين لا يقيدهم مذهبهم بشرط

القرشية ، وقد علمت من سلطان مسقط السابق أنه كان يتمنى الارتباط بالدولة العثمانية

وأما الدول الاعجمية المستقلة فالايرانية منها شيعة امامية والامامة عندهم للامام محمد المهدي المنتظر فلا تعترف بامامة أخرى لغيره وانما ترتبط بغيرها من الدول الاسلامية، بنوع المحالفات السياسية

والافغانية سنية وقد اعترفت في المحالفة التي عقدت بينها وبين الحكومة التركية الجديدة في أنقرة بأن الدولة التركية دولة الخلافة، ولكن لم تعترف لها بسيادة ما عليها. بل كانت محالفتها محالفة الند للند

وقد كان نص المادة الثالثة من هذه المحالفة التي وضعت في (أنقرة) قد جعل الدولة الافغانية في مكان التابع من الدولة التركية ، وهذه ترجمته التي نشرت في جريدة الاخبار المصرية لمراسلها في (كابل — عاصمة الافغان)

« تصدق الدولة الافغانية بهذه المناسبة على انها تقتدي بتركيا التي تخدم خدمات جليلة وتحمل علم الخلافة الاسلامية » أي تقر وتعترف بهذه القدوة

وذكر المراسل ان أمير الافغان لم يقبل هذا النص بل غيره « بأن الدولة الافغانية لا تقتدي بالدولة العلية التركية وانما عليها أن تعترف بأنها دولة الخلافة » وقد كان هذا قبل الانقلاب التركي الاخير ، وذكر في بعض الجرائد أن الافغان أنكروا منه جعل الخلافة روحية لا شأن لها في السياسة والاحكام ، واذا آل الامر الى اعترافهم بصحة الخلافة العثمانية التركية شرعاً فلا مندوحة لهم عن اتباع الخليفة لانهم قوم مسلمون مستمسكون بدينهم استمساكا عظيما

ولكن الظاهر ان جميع الذين يعترفون للعثمانيين من الترك بالخلافة ولا يتبعون حكومتهم فانما يعترفون لهم بلقب من ألقاب الشرف، لصاحبه نفوذ معنوي لدى الدول. والا فلا معنى لكون الرجل خليفة المسلمين الا انه امام دينهم ورئيس حكومتهم الذي تجب طاعته عليهم . وتباح دماؤهم في الخروج عليه والاستقلال بالحكم دونه. واما المتغلب الذي لا يطاع الا بالقهر فلا يجوز لغير من قهرهم الاعتراف له بالخلافة، وان من العبث بالاسلام ان تجعل امامته الكبرى مجرد لقب من ألقاب المدح والشرف

هذا وأما البلاد الاسلامية الرازحة تحت أثقال السيطرة الاجنبية كمصر وسائر

أقطار أفريقية الشمالية وسورية والعراق فليس لها من امر حكمها أو حكومة دينها شيء، وليس فيها جماعة تتصرف في ذلك بحل ولا عقد، فلو أن رؤساء الحكومة والشعب في قطر منها — وهم الذين كانوا لولا السلطة الاجنبية أهل الحل والعقد فيها — أرادوا أن يبايعوا خليفة في بلاد الترك أو العرب مثلا مبايعة صحيحة، وهي ما توجب عليهم أن يكونوا خاضعين لسلطانه، مطيعين في أمورهم العامة لامره ونهيه، ناصرين له على من يقاتله أو يبغي عليه، لما استطاعوا أن يمضوا ذلك وينفذوه بدون اذن الدولة الاجنبية المسيطرة عليهم، وهي لن تأذن وان كانت تدعي انها لا تعارض المسلمين في أمور دينهم، وانها تاركة أمر الخلافة اليهم

وأما الافراد والجماعات الذين ليس لهم رئاسة ولا نفوذ في قيادة الشعب، ولا يستطيعون أن يطيعوا اذا بايعوا، كأن ينفروا اذا استنفروا، وينصروا اذا استنصروا، فقد يسمح لهم في بعض هذه الاقطار أن يقولوا ما شاؤا، وفي بعضها لا يسمح لهم بذلك، ورأي السواد الاعظم من المسلمين في كل قطر من هذه الاقطار مخالف لرأي الدولة المسيطرة عليه، ومن ذلك مبايعة بعض الافراد والجماعات المصرية والهندية للخليفة التركي الجديد، ولو أراد مثل ذلك أهل تونس والجزائر لما أبيح لهم مع علم فرنسة المسيطرة عليهم أن هذه المبايعة لا يترتب عليها اتباعهم لحكومته التركية. وان هذه الحكومة نفسها، غير تابعة لخليفتها، بل هو تابع لها، وموظف عندها وهي التي تحدد عمله ووظيفته.

وصفوة القول ان الشعوب الاسلامية المقهورة بحكم الاجانب ليس لها من أمرها، الا ما يجود به عليها الاجانب القاهرون لها. ولا يمكنها أن تساعد على وحدة الامة، التي تتوقف عليها وحدة الامامة. الا من طريق بث الدعوة وبذل المال، وان الشعوب المستقلة لا مطمع الآن بجمع كلمتها. بترك التعصب لمذاهبها ولجنسيتها، وايجاد خلافة صحيحة قوية توحد حكومتها. وأقرب منه عقد موالاة ودية أو محالفات سياسية عسكرية بينها، وقد بدأ بذلك الاعاجم منها. وأما العربية فقد عز الى اليوم التأليف بينها، فاذا يسره الله تيسر اتفاقها مع غيرها، وكان ذلك تمهيدا للامامة العامة التي تجمع كلمتها كلها.

ومن ذا الذي يطالب باعادة تكوين الامة الاسلامية المنحلة العقد المفككة المفاصل، وباعادة منصب الخلافة الى الموضع الذي وضعه الشارع فيه؟ أهل الحل والعقد — أهل الحل والعقد. ومن هم وأين هم اليوم؟

﴿ استدراك أو تصحيح ﴾

كنا عند كتابة ما تقدم تركنا الكلام على الخلافة العثمانية التركية لان أصل السياق فيها، والبحث موجه الى بيان حالة المسلمين وحكوماتهم المستقلة التي لا يمكن تعميم الخلافة بكفالة الترك لها الا باتفاقهن عليها ؛ ثم بدا لنا أن نكتب كلمة فيها ليكون بحثنا تاما جامعا لكل ما تنجلي به المسألة من الجهة الشرعية ومن جهة المصلحة العملية . وهذا نص الكلمة ومحلها في السطر الثالث من ص ٥٥

وأما الدول الاعجمية المستقلة فأولها التركية وكان المشهور أن الخلافة تنقلت الى سلاطينها بنزول آخر خلفاء العباسيين عنها للسلطان سليم الذي أسره بمصر وحمله الى الآستانة وتسلسل ذلك فيهم بعد ذلك بالعهد والاستخلاف ، حتى كان من أمرهم في هذه الايام ما كان ، ويقال إن السلطان محمد وحيد الدين المخلوع ما زال يدعي الخلافة التي آلت اليه بنظام الوراثة ، والحق ما بيناه من قبل ، وان الخليفة العباسي الذي أسره السلطان سليم لم يكن يملك الخلافة ولا النزول عنها ولو لاهلها ، ولو كان يملكها لاشترط في نزوله الحرية والاختيار ولم يكن يملكهما ، ومثله السلطان وحيد الدين الآن ، فلذلك لا يعتد بما توقعه بعضهم من نزوله عنها لملك الحجاز ؛ واذا كانت خلافة الترك العثمانيين بالتغلب فلا فرق بين اختيار الامير عبد المجيد الآن بعد انقطاع سلسلة العهد والاستخلاف بخلع محمد وحيد الدين أو قبله، وبين اختيار من قبله عملا بذلك النظام. هذا اذا جعلته حكومة أنقرة خليفة بالمعنى الشرعي المعروف ، ولكنها اخترعت نوعا جديدا من الحكومة ونوعا آخر من الخلافة ، ووضعت للاولى قانونا أساسيا عرفناه ولما تضع للثانية قانونا لنعلم منه كنهها ، فان كانت خلافة روحية لا سلطان لها في سياسة الامة وحكومتها فهي غير الامامة التي بينا أحكامها ، على أن ما يضمونه لها من النظام إن كان موفقا للشرع حمدناه ، وان كان مخالفا له أنكرناه، ولا يضرنا تسمية هذا العمل خلافة فمثله معهود عند أهل الطريق ولا مشاحة في الاصطلاح. وسنبين في كل وقت ما يجب علينا وعليها للاسلام ،

١٧

﴿ أهل الحل والعقد في هذا الزمان ، وما يجب عليهم في أمر الامة، الامام ﴾

فرغنا مما قصدنا الى بيانه من أحكام الامامة العظمى في الاسلام ، ونقفي عليه ببيان ما يجب من السعي للعمل بهذه الاحكام ، باعادة تكوين الامة ووحدتها. ونصب الامام الحق لها. الذي بيناني المسألة الثانية أنه واجب عليها شرعاً، تأثم كلها بتركه ؛ وتعد حياتها وميتتها جاهلية مع فقده ، فالامة كلها مطالبة به ، وهي صاحبة الامر والشأن فيه كما بيناه في المسألة الرابعة، وانما يقوم به ممثلوها من أهل الحل والعقد كما حررناه في المسألة الثالثة ، فأهل الحل والعقد هم المطالبون بجميع مصالح الامة العامة ، ومسألة السلطة العليا خاصة

قلنا إن أهل الحل والعقد هم سراة الامة وزعماؤها ورؤساؤها ، الذين تثق بهم في العلوم والاعمال والمصالح التي بها قيام حياتها، وتتبعهم فيما يقررونه بشأن الديني والدنيوي منها ، وهذا أمر من ضروريات الاجتماع في جميع شعوب البشر ، تتوقف عليه الحياة الاجتماعية المنظمة ، قال شاعرنا العربي :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واذا صلحت هذه الفئة من الامة صلح حالها وحال حكامها ، واذا فسدت فسدا ، ولذلك كان من مقتضى الاصلاح الاسلامي أن يكون أهل الحل والعقد في الاسلام من أهل العلم الاستقلالي بشريعة الامة ومصالحها السياسية والاجتماعية، والقضائية والادارية والمالية ، ومن أهل العدالة والرأي والحكمة ، كما بيناه في المسألة الرابعة . وهي ما يشترط في أهل الاختيار للخليفة

فذكر أهل الحل والعقد قد تكرر في مسائل أحكام الخلافة ولم نجعله عنوانا الا لهذه المسألة التي عقدت للكلام فيهم أنفسهم وأين يوجدون اليوم ، وما يجب عليهم لامتهم في هذا العصر ، فان الحكومات غير الشرعية من أجنبية ووطنية تعنى بافساد زعماء الشعوب التي تستبد في أمرها ، ليكونوا أعوانا لها على استبدادها ، ومن تعجز عن افساده على قومه بالترغيب ثم بالترهيب تكيد له أو تبطش به ، فأهل الحل والعقد من قبل الامة ، قلما يوجدون الا في الامم الحرة، وأكثر الرؤساء في الامم المقهورة يكونون من قبل حكامها ، وهم

الذين توليهم رئاسة بعض الاعمال والمصالح فيها، فيكون مايبدهم من الحل والعقد مستأجراً، وقد تنقض الامة ببعض رجاله، وقد يكونون في نظرها من الخونة المستحقين للعقاب، وقد يوجد فيهم من يكون أهلا للثقة، وتعرف له الامة ذلك أو تجهله، واذا سكتت عن إظهار احتقارها، لصنائع المستبدين فيها، لتفرقها في وقت الانقياد والدعة، فانها تظهره في وقت الاجتماع بالاضطراب والثورة، وقد أظهرت لنا الثورة المصرية في هذه السنين، كراهة الامة واحتقارها لافراد من رؤساء مصالح الدنيا والدين، وترئيس أفراد آخرين عليها، وآية هذه الزعامة المصنوعة المستأجرة للحكومة ان صاحبها اذا خرج من منصبه؛ تجد جمهور الامة لا يحفل به، ولا يعده زعيما له، وربما أظهر له الاحتقار والاهانة. وقد رأينا الاجانب الغاصبين لبعض بلادنا في هذه السنوات النحسات يقودون بعض هؤلاء الزعماء الذين أفسدوهم على الامة أو رأسوهم عليها الى عواصم بلادهم ويتواطؤن معهم على توطيد سلطتهم فيها، (أي الامة) ويستخدمون بعضهم في البلاد للاستعانة بهم على استعمارها، وكذلك كان يفعل السلاطين والامراء، في استمالة العلماء والوجهاء، بالرتب والاوسمة والهبات — ثم هب الترك والمصريون يطلبون سلطة الامة بمجالس النواب، وهذه المجالس بمعنى جماعة اهل الحل والعقد في الاسلام، الا ان الاسلام يشترط فيهم من العلم والفضل، مالا يشترطه الافرنج ومقلدتهم في هذا العصر

وقد صار أهل الجمعية الوطنية في انقره أصحاب الحل والعقد بالفعل، وبالرغم من السلطان الذي ناصبهم فباء بالخزي والعزل، وحلوا محل مجلس المبعوثين ومجلس الوزراء وشخص السلطان جميعاً، وقد ذكرني هذا ما قاله لي الغازي احمد مختار باشا في الاستانة لما سألته عن رأيه في الحكومة الدستورية قال: عندنا مجلس وليس عندنا سلطان، ولا بد من الكفتين في وجود الميزان

واما البلاد المقهورة بالاحتلال الاجنبي كمصر والهند، فلا مجال فيها لمثل ما فعل الترك، وانما يظهر فيها فرد بعد فرد، الى ان تبلغ الامة سن الرشد

ولقد وصل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى الى مقام الزعامة في هذه الامة ومرتبة أهل الحل والعقد في الامور الدينية والدنيوية من سياسية وغيرها،

بل قارب ان يكون زعيم الامة الاسلامية كلها ، ولكن بالقوة لا بالفعل لان الامة لم تكن قد تكونت تكوناً يؤهلها للسير في الخطة التي يختطها لها ، ولذلك كان يقول : ياويح الرجل الذي ليس له أمة ، وقد كان أمير بلاده ينهى عنه ويناًى عنه ، على انه كان يرجع في المهمات وحل المشكلات اليه ،

وقد بلغ رئيسه سعد باشا زغلول مقام الزعامة السياسية في هذه السنين التي تكون فيها قومه ، فلما تصدى للعمل بقوة الشعب ، كان جزاؤه النفي بعد النفي ، ويوجد في الهند رجال من المسلمين والهنود رفعتهم احداث الزمان الى مقام الزعامة في الامة ، باظهارها ماهم عليه من الكفاءة وعلو الهمة ، وهم الآن في غيابات السجون ، منهم (غاندهي) عند الهندوس وأبو الكلام ومحمد علي وشوكت علي عند المسلمين ، ويلي هؤلاء جماعتهم كالوفد المصري عندنا وجمعية الخلافة عندهم

وأما الجماعات القديمة فان هيئة كبار العلماء في الازهر بمصر وفي جامع القاسم والسليمانية من الاستانة وجامع الزيتونة بتونس ومدرسة ديوبند بالهند فان جمهور الامة يثق بأن حكم الله ماقالوا ، ولكن أكثر المتفرنجين — ومنهم أكثر الحكام والقواد والاحزاب السياسية — فلما يقيمون لاحد منهم وزناً ، الا من كان ذا منصب أو ثروة ، أصاب بها بعض الوجاهة ولا يوجد في علماء أهل السنة مجتمعين ولا منفردين من يبلغ في الزعامة واتباع الشعب له مبلغ مجتهدي علماء الشيعة ، ولا سيما متخرجي النجف منهم ، فأولئك هم الزعماء لاهل مذهبهم حقاً ، ويقال إنهم أفتوا في هذه الآونة بتحريم انتخاب الجمعية الوطنية ، التي أمرت بها حكومة الملك فيصل لاقرار المعاهدة بين العراق والدولة البريطانية ، فاطاعها البدو والحضر من الشيعة وقد كان ميرزا حسن الشيرازي رحمه الله تعالى أصدر فتوى في تحريم التنباك فخضع لها الشعب الايراني كله ، وتركوا استعمال التنباك وزرعه ، وهو بالنسبة الى صادرات بلادهم كالقطن في القطر المصري ، وكان الذي حمله على اصدار هذه الفتوى موقظ الشرق السيد جمال الدين الافغاني قدس الله روحه بسبب إعطاء حكومة ايران امتيازا بالتنباك لشركة انكليزية ، فاضطرت الحكومة لفسخ الامتياز في مقابلة تعويض للشركة قدره خمسمائة ألف جنيه انكليزي ، ولو لم تفسخ هذه

الشركة لفعلت في ايران ما فعلت شركة الجلود الانكليزية في الهند ، أي لملكت أمتها تلك البلاد وضمتها الى امبراطورية الهند

قلت ان الحكومات المستبدة تجتهد في افساد من يظهر من الزعماء في الشعوب التي تتولى أمرها . على انها تغنى قبل ذلك بالاسباب التي تمنع وجود الزعامة فيها بافساد التعليم ومراقبته ، وقد أبعدوا علماء الدين عن السياسة وعن الحكومة ، فصار أكثر أهلها وأنصارها من الجاهلين بالشريعة ، وتولى هؤلاء أمر التعليم وإعداد عمال الحكومة به ، وانكمش العلماء وأرزوا الى زوايا مساجدهم ، أو حجور بيوتهم ، ولم يطالبوا بحقوقهم ، ولا استعدوا لذلك بما تقتضيه حال الزمان ، وطبيعة العمران ، ولا عرفوا كيف يحفظون مكانتهم من زعامة الامة بتعريفها بحقوقها ، وقيادتها للمطالبة بها ، فأضاعوا حقهم من الحل والعقد فيها ؛ وتركوها لرؤساء الحكام وللاحزاب والجمعيات السياسية التي يتولى أمرها في الغالب من لا حظ لهم من علوم الدين ، ولا من تربيته التي لا نظام لما بقي منها عند بعض المسلمين ،

فاذا أريد السعي — والحال هذه — لما وجب في الشرع من امامة الحق والعدل العامة ، فلا بد قبل ذلك من السعي لوجود جماعة أهل الحل والعقد المتحلين بالصفات التي اشترطت فيهم كما تقدم في المسألة الخامسة ، فانهم هم أصحاب الحق في نصبه بنيابتهم عن الامة ، وبتأييده في حمل الامة على طاعته ، والمطلوب قبل نصب الامام العام للامة كلها ، أو للبلاد المستقلة منها ، أن تتحد شعوب هذه البلاد ، وترجع عن جعل اختلاف المذاهب والاجناس واللغات ، موانع للوحدة والاتفاق .

وانا نتساءل هنا : هل يوجد في البلاد الاسلامية من أهل الحل والعقد ، من يقدر على النهوض بهذا الامر ؟ واذا لم يكن فيها من لهم هذا النفوذ بالفعل ، أفلا يوجد من له ذلك بالقوة ؟ ثم ألا يمكن للمسلمين وضع نظام لجعل النفوذ بالقوة نفوذاً بالفعل ؟ بلى انه ممكن عسر ، وقوة العزيمة تجعل العسر يسراً ، وقوة العزيمة تتبع قوة الداعية ، ومن ذا الذي يرجى ان يضع النظام ويشرع في العمل ؟ الا أنه حزب الاصلاح الاسلامي المعتدل .

١٨ — حزب الاصلاح الاسلامي المعتدل

قد علم مما تقدم ان العمل لوحدة الامة الاسلامية بقدر الامكان ينحصر اليوم في الشعبين الكبيرين العربي جرثومة الاسلام، والتركي سيفه الصمصام، وان أمر البلاد العربية المستقلة بيد أئمتها وامرائها فالتأليف بينهم مقدم على كل شيء فيها. ونقول هنا :

ان المتصدرين للزعامة السياسية ومقام الحل والعقد في غير جزيرة العرب من البلاد الاسلامية ازواج ثلاثة — مقلدة الكتب الفقهية المختلفة — ومقلدة القوانين والنظم الاوربية — وحزب الاصلاح الجامع بين الاستقلال في فهم فقه الدين وحكم الشرع الاسلامي وكنه الحضارة الاوربية ، وهذا الحزب هو الذي يمكنه إزالة الشقاق من الامة ، على ما يجب عمله في إحياء منصب الامامة، اذا اشتد أزره ، وكثر ماله ورجاله ، فان موقفه في الوسط يمكنه من جذب المستعدين لتجديد الامة من الطرفين. وهو الحزب الذي سميناه في المقالة الثالثة من مقالات (مدنية القوانين) بحزب الاستاذ الامام ، اذ كان المنار يمهد السبيل لجعل الاستاذ زعيم الاصلاح في جميع بلاد الاسلام ، وانا نعرف أفرادا من هؤلاء المصلحين المعتدلين في الاقطار المختلفة ولا سيما العربية والتركية والهندية ، ونشهد أن مسلمي الهند في جملتهم أرجى لشد ازر هذا الحزب بالمال والرجال ، ولكنهم لا يستطيعون العمل الا باتحاد عقلائهم مع عقلاء سائر الاقطار ، لتكوين جماعة أهل الحل والعقد بما يتفقون عليه من النظام، لاجل قيادة الرأي العام ، ولتكوين مؤتمر عاجل لاجل تقرير ما يتخذ من الوسائل الآن ، فان مسألة الخلافة كانت مسكوتا عنها ، فجعلها الانقلاب التركي الجديد أهم المسائل التي يبحث فيها ، ولولا كثرة التخبط وتضليل الرأي العام بأكثر ما كتب فيها لآثرنا السكوت على القول ، مع السعي الى ما نرى من المصلحة فيها بالعمل، ولكن وجب التمهيد له ببيان الحقائق وان جعلت موضع البحث والمراء ، باختلاف الآراء والاهواء ، وحسبنا أن نذكر حزب الاصلاح بما يعتنّ له من العقبات ، من حزبي التقاليد والعصبيات ، وبما يجب ان يمد للعمل من القواعد والبينات

١٩ — حزب المتفرنجين

بينا في المقالة الثالثة من مقالات (مدنية القوانين) مرادنا من التفرنج وأهله وان منهم المرتدين المجاهرين بالكفر والمصرين به ، ومدار كهم في حكومة الاسلام وشريعته . ونقول هنا أيضا

ان ملاحدة المتفرنجين يعتقدون أن الدين لا يتفق في هذا العصر مع السياسة والعلم والحضارة ، وأن الدولة التي تتقيد بالدين تقيداً فعليا لا يمكن ان تعز وتقوى وتساوي الدول العزيزة . وهؤلاء كثيرون جدا في المتعلمين في اوربة وفي المدارس التي تدرس فيها اللغات الاوربية والعلوم العصرية ، ورأي أكثرهم أنه يجب أن تكون الحكومة غير دينية . وحزبهم قوي ومنظم في الترك ، وغير منظم في مصر ، وضعيف في مثل سورية والعراق والهند ، ورأيه انه يجب إلغاء منصب الخلافة الاسلامية من الدولة ، واضعاف الدين الاسلامي في الامة ، واتخاذ جميع الوسائل لاستبدال الرابطة الجنسية أو الوطنية ، بالرابطة الدينية الاسلامية ، والترك من هؤلاء أشد خصوم اقامة الامامة الصحيحة في الدولة التركية ،

وقد بثت جمعياتهم الدعوة في الاناضول مهد النهرة الاسلامية ، الى العصبية العنصية ، بالاساليب التي لا يشعر الجمهور بالغرض منها وقد أشرنا من قبل الى بعضها فكان لها التأثير المطلوب : كان التركي هنالك اذا سئل عن جنسه قال : مسلم الحمد لله . وبذلك يمتاز من الرومي والارمني . وأما الآن فصار يجيب بأنه ترك . وكان لا يفهم من وجوب الخدمة العسكرية الا طاعة خليفته وسلطانه في الجهاد في سبيل الله ، فبثت فيه فكرة القتال في سبيل الترك ووطن الترك لمجد الترك ، وقد اطلعنا في هذه الايام على قصة (قميص من نار) للكاتبة الاسرائيلية النسب ، التركية السياسة والمذهب ، خالدة أديب وزيرة المعارف في حكومة أنقرة ، وقد أنشأتها لبيان كنه الحركة الوطنية في الاناضول التي أنشئت لمقاومة سلطة الآستانة واخراج اليونان من البلاد وتأمين استقلالها فألفيناها مصورة لما ذكرنا ، لم نر فيها كلمة واحدة تدل على فكرة الجهاد الاسلامي ولا الروح الديني الذي كنا نعهد ،

على أن فريقا من هؤلاء المتفرنجين يرى أن وجود منصب الخلافة في الترك

يمكن الانتفاع به من بعض الوجوه السياسية والادبية وغيرهما اذا كانت الخلافة صورية أو روحانية لا سلطان لها في التشريع ولا في التنفيذ، بل ينحصر نفوذها في الدعاية السياسية للدولة من طريق الدين ، كسلطة البابا والبطارنة وجمعيات التبشير ، واكثر هؤلاء من أصحاب العصبية الطورانية ، الذين يتفقون من بعض الوجوه مع طلاب الجامعة الاسلامية . فانهم يطمعون في تأليف أمة لبيره من شعوب الشرق الاعجمية المسلمة بجعلهم كلهم تركا لانه ليس لاحد منهم لغة علمية غير مدونة الا الفرس الايرانيون والافغانيون . وكذا لغة الاوردو في مسلمي الهند ، على أن اللغة التركية فاشية في اكثر بلاد ايران ، ومن لم يمكن إدغامه في الامة التركية باسم الوحدة الطورانية ورابطة اللغة التركية ، فان من الممكن إدغامه فيها بالتبع للخلافة الاسلامية ، ثم يكون أولاد هؤلاء تركا بالتعليم والتربية بما للحكومة . وحزب العصبية التركية المحضة ، معارض لحزب العصبية الطورانية العامة . اذ يخاف ان يضيع الترك فيها كما ضاعوا في الجامعة العثمانية . أو الاسلامية بزعمه . وليس من غرضنا هنا تحقيق هذه المسائل ولا انتقادها ، بل التذكير بما فيها من معارضة الامامة الاسلامية باوجز عبارة ، ولا نيأس من اقناع الكثيرين منهم بالجمع بين الجنسية والاسلامية

وهنالك فريق من المتفرنجين — ومنهم بعض المتدينين من غيرهم يرون ان إقامة الخلافة الاسلامية وجعل رئيس الدولة هو الامام الحق الذي يقيم الاسلام متعذر في هذا الزمان في دولة مدنية ، فاما ان تكون الخلافة في الدولة التركية اسمية كما كانت في الدولة العثمانية ينتفع بها بقدر الامكان ويتقى شر استبداد الخليفة وتكون الحكومة مطلقة من قيد التزام الشرع في الاحكام التي لا يمكن العمل بها في هذا العصر ؛ واما أن يستغنى عنها البتة . واستمالة حزب الاصلاح لهؤلاء أيسر من استمالته لغيرهم

٢٠ — حزب حشوية الفقهاء الجامدين

إن جميع علماء الدين واكثر العامة المقلدين لهم يتمنون أن تكون حكومتهم اسلامية محضة ، والترك يحتمون ان تكون تابعة لفقه المذهب الحنفي ، ومنهم من لا يرى مانعاً من الاخذ في بعض الاحكام بفقه غير الحنفية من

مذاهب أهل السنة ؛ ولا يبالون بما خالف ذلك من مدنية العصر ، ولكن هؤلاء العلماء يعجزون عن جعل قوانين العسكرية والمالية والسياسية مستمدة من الفقه التقليدي ويأبون القول بالاجتهاد المطلق في كل المعاملات الدنيوية ، ولو فوض اليهم أمر الحكومة على أن ينهضوا بها لعجزوا قطعا ، ولما استطاعوا حربا ولا صلحا ،

طالما بينا في المنار أن تقصير علماء المسلمين في بيان حقيقة الاسلام والدفاع عنه بما تقتضيه حالة هذا العصر هو اكبر أسباب ارتداد كثير من متفرنجة المسلمين عنه ، وأنهم لو بينوه كما يجب لدخل فيه من الافرنج أنفسهم ، اضعاف من يخرج منه بفتنتهم . وان سبب ذلك أو أهم أسبابه أنه ليس للمسلمين امام ولا جماعة تقيم ذلك بنظام ومال كما يفعل امام الكاثوليك (البابا) وجمعيات التبشير في بلاد النصرانية ، على ان السلاطين والامراء واتباعهم قد أفسدوا العلماء وأبطلوا عليهم زعامتهم للامة الا فيما يؤيد ظلمهم واستبدادهم كما ذكرنا آنفا

ولو كان للمسلمين خليفة قائم باعباء الامامة العظمى لما أهمل أمر الدفاع عن الاسلام والدعوة اليه حتى كثر الارتداد عنه ، وغلب على الدولة العثمانية من لا علم لهم به ، أليس من الغريب انني لما وضعت مشروع الدعوة والارشاد للقيام بهذه الفرائض التي هي أول مايجب على إمام المسلمين وجماعتهم لم يوجد في وزراء الدولة ولا رؤسائها من تجرأ على اجازة هذا الاسم ؟ وان الذين استحسنوا المشروع اتفقوا على تسمية جمعيته بجماعة العلم والارشاد ؟ نعم إن مستشار الصدارة قال لحقي باشا الصدر الاعظم أمامي : اذا نفذنا هذا المشروع ألا نلقى مقاومة من الدول العظمى ؟ فأجابه : إن لدولة البلغار مدرسة عندنا لتخريج الدعاة الى النصرانية أفتكون دولة الخلافة في عاصمتها دون دولة البلغار حرية في دينها ؟ ولكن هذا الصدر الاعظم لم ينفذ المشروع ولم يساعدنا فيه أدنى مساعدة ، وإنما اغتنمنا فرصة سفره الى ايطالية وسفر طلعت بك وزير الداخلية وزعيم الاتحادية الى أدرنه لتقرير المشروع رسميا ، وأعاني على ذلك انعقاد مجلس الوكلاء برئاسة شيخ الاسلام موسى كاظم افندي أحد أنصاره فما زلت الح عليه حتى أصدر - رحمه الله - قرارا من المجلس بتنفيذه ، ثم جاء طلعت بك فأفسد الامر

وكان الذي يسمونه السلطان و(الخليفة)في قفصه، مغلوبا على أمره ، لا يكاد يصحو من سكره، ولا ترجو المشيخة الاسلامية منه قولا ولا عملا في هذا الامر ولا غيره ، ولماذا كان نفوذ مثل طلعت وناظم أغلب عليه من نفوذ شيخ الاسلام وشيوخ دار الفتوى ؟ اليس لعجز هؤلاء الشيوخ واعوانهم عن ادارة أمور الدولة وعن اظهار كفاية الشريعة ، وعن إثبات أصول الاعتقاد والعمل بها بالحجة ، ودفع كل ما يرد عليها من شبهة ؟ أليس لانهم غير متصفين بما اشترطه أئمة الشرع في اهل الحل والعقد ، من العلم والسياسة والكفاية والكفاءة ؟

على أن نفوذ علماء الدين في بلاد الترك أقوى منه في مثل سورية ومصر، ولكن خصومهم من المتفرنجين أقوى منهم ، وكل من الفريقين يعد الآخر سبب ضعف الدولة، وتقهقر الامة ، والحق أن الذنب مشترك بينهما. وأن نصب الامام الحق وجعل الدولة الترية كافلة لمنصب الخلافة ، لا يتم الا بجمع حزب الاصلاح لكلمة المسلمين المتفرقة، بجذب اكثر اصحاب النفوذ اليه ، حتى تنحصر صفات اهل الحل والعقد فيه ، وإنما يكون ذلك بتحويل العلماء منهم عن جمود التقليد وعصبية المذاهب ، وكشف شبهات المتفرنجين على الدين والشرع ، وبيان الخطأ في عصبية الجنس، فان كان اقناع السواد الاعظم بذلك غير مستطاع الآن، فحسب هذا الحزب من النجاح الرجحان على سائر الاحزاب، واستعداده لذلك بما سنبينه من الاسباب .

إن الاسلام هداية روحية، ورابطة اجتماعية سياسية، فالكامل فيه من كملتا له ، والناقص فيه من ضعفت فيه احداهما أو كلتاهما ، وقد فقدهما معا الملاحدة من غلاة العصبية الجنسية، فهؤلاء لا علاج لهم، لا عند أنصار الخلافة ولا عند غيرهم، لكن بيان حقيقة الاسلام، وما فيه من الحكم والاحكام ، الكافلة لارقى معارج المدنية والعمران، مع الخلو من كل ما في المدنية المادية من الشر والفساد ، على الوجه الذي سنشير اليه في أبحاثنا هذه — يفل من حدهم ، ويوقفهم عند حدهم، بل يهدي من لم يختم على قلبه من أفرادهم ، وهو بهداية الكثير من غيرهم أقوم ، ونجاح الدعوة فيهم أرجى

حسبنا هذه الاشارة الى ما يجب من السعي لهذا العمل في الترك ، وأما الشعب العربي الذي هو أصل الاسلام وأرومته ، ولا حياة له الا بلغته، ولا

تتم أركانه الا بفريضة الحج التي تؤدى في بلاده، وهو الركن الاجتماعي الوحيد الجامع بين شعوبه، ولا يمكن ان تكون الامامة الصحيحة العامة بمعزل عنه، — فهو شعب كله متدين ، ليس في جزيرته إلحاد ولا تفرنج ، وانما آفته الجهل بطرق ادارة البلاد وعمرانها، وبالعلوم والفنون التي يتوقف حفظ الاستقلال وعزة الملة عليها ، وتعادي الامراء ، ودسائس الاعداء ، فكل ما يجب له على حزب الاصلاح ، اقناع أمرائه بما يجب من الاتحاد ، ومساعدتهم على ما يجب من أعداد وسائل القوة والعمران ، وها نحن أولاء نذكره بما يجوز نشره من برامج الاعمال . وأساليب الاستدلال (للكلام بقية)

خطاب أحد زعماء النهضة الاسلامية الهندية

الذي قدمه عند محاكمته للمحكمة الانكليزية

ومقدمة مترجمه

في وصف ثورة الهند السياسية السلمية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (*

المقدمة

إن الجهاد العظيم الذى قامت به الهند المستعبدة منذ خمس سنوات متواليات لصون الخلافة الاسلامية ، وحرية البلاد العربية ، يكاد يكون فذا في تاريخ العالم لا لانه جهاد بلاد استعبدت استعبادا شديدا ، وحكمت بالنار والحديد اجيالا ، وصبت على رأسها المصائب تلو المصائب ، ودهمتها الدواهي إثر الدواهي بل لان

---

*) صاحب الخطاب هو الزعيم الهمام، الاستاذ العلامة الكاتب الخطيب الشيخ أبو الكلام ، والمترجم صاحب المقدمة هو الشاب النجيب، وغصن دوحة الاصلاح الرطيب ، الشيخ عبد الرزاق الملیح الهندي تلميذ دار الدعوة والارشاد بمصر

اصوله جديدة ، وطرق عمله عجيبة ، ومظاهراته سلمية ، وروحه العاملة فيه خالية من كل حقد وشدة ، وليس فيه الا الايثار ، وهضم النفس ، وكظم الغيظ ، وتقديم المهج ، وتحمل الشدائد — القائمون به يُقتلون ولا يقتلون ، يُضرون ولا يَضربون [1] ، يصابرون ولا يصيبون ، يقاومون القوة لا بالشدة والبطش ، بل بالصبر والحلم والسلم ، ويحاربون الاستبداد لا بالسيف والرمح ، بل بالايمان واليقين والثقة بالله ربهم ، فهو جهاد سلمي حقا ، وحرب روحانية مدنية ، لا شائبة فيها من القوة والغلظة ، بل هو في الحقيقة صحيفة عبر ، وكتاب بصائر لسائر الامم المستضعفة ، يبين لها أن الفوز والنصر لا يتوقف على بسطة الجسم والقوة المادية ، بل منبعه الحقيقي من القوة المعنوية وروحانية القلوب التي في الصدور ، وهو أول مثال للمقابلة السلمية للقوات المتسلحة القتالة ، وإنه ليهب سلاحا ماضيا صائبا من الايمان والصدق للشرق المسكين ، ليحارب به الغرب الجائر المتسلح بالقوات المادية ، فهل يقبله الشرق وينجو به من الخزي والعار ؟

ألا لا يتهمني أحد بأني أبالغ في هذا الجهاد ، أو أهبم بوصفه في وديان الخيال ، أو أتخيل كالشعراء في المحال ، بل أبين كنه الحال ، واتكلم عن حقيقة وبرهان ، فانه جهاد زعزع أساس الدولة البريطانية في البلاد ، وتركها في حيرة وارتباك ، فظلت طول هذه المدة مغلولة الايدي مع ما أملك من القوة والسلاح ، ولم تستطع قهره ومقارعته بما أوتيت من البطش والجلاد ، اذ السلاح يقرع السلاح ، والقوة تصادم القوة ، والمصارع يصرع المصارع ، ولكن هل سمعت سيفا يقتل روحا ، وأن صُرَعة يصرع قلبا ؟ نعم قهرت بريطانية عدوتها المانية ، لانها كانت اقوى منها وأدهى [2] ، ولكنها ما كان لها أن تقهر هذا الجهاد السلمي ، لانه ليس امامها قوة مادية مثلها فتكسرها ، ولا يدفتاكة فتجذمها ، وانما كل ما هنالك عنق للقتل ،

(١) فيه احتباك أي : يضرون ولا يضرون من يضربهم ، ويضربون ولا يضربون ضاربهم (٢) انما غلبتها بالدهاء الذي سخرت به اكثر أمم الارض لمساعدتها وآخرهن الولايات المتحدة الاميركية التي كانت أقوال رئيسها سبب الثورة الالمانية

وقلب للحياة ، وجسم للصلب ، وروح للبقاء ، فما أعجب هذا الجهاد ! وما أسلم هذا العراك !

ولقد كان من نتائج هذا الجهاد أن اضطرت بريطانيا على رغم انفها أن تخفف وطأتها عن الاسلام ، ولا تصر على اظهار العداوة للخلافة الاسلامية ، والتمادي في حماية ربيبتها الدولة اليونانية ، فان الحكومة الهندية الانكليزية لما أرسلت بلاغها الرسمي الشهير في فبراير سنة ١٩٢٢ الى الحكومة المركزية في لندن تؤكد فيه المطالب الهندية في مسئلة الخلافة ، وتحذرها من سياستها الخرقاء في معاداة الدولة العثمانية والبلاد الاسلامية ، تأثر به الرأي العام الانكليزي أيما تأثر ، حتى تدحرجت وزارة المستر لويد جورج القاهر لالمانيا ، وسقطت سقوطا مخزيا ، وكانت قد امتازت بعداوة الاتراك والمسلمين واستعمار البلاد الاسلامية المحتلة باسم الوصاية .

نعم قد تم هذا ، ولكن الايام حبلى ولا ندري مايكون وراء مؤتمر الصلح ، ومهما يكن من الامر ، فسيظل هذا الجهاد حتى تتحرر البلاد الاسلامية ، ويغادر كل جندي محتل أرض الشام وفلسطين والعراق ومصر والقسطنطينية ، فتصبح كلها حرة مطلقة من قيودها تحكم نفسها بنفسها كيف تشاء !

وان مما يحزن القلب ، ويبكي العين ، ان هذه البلاد الاسلامية التي تلتهب الهند غيرة عليها ، وتتفانى في حبها ، وترخص كل غال وثمين لاجلها ، لا تعلم عن هذا الجهاد الا شيئا لا يذكر ، مع أن سيل المصائب الذي غمر العالم الاسلامي قاطبة كان يجب أن يعرف به المسلمون بعضهم بعضا ، ويتعاونوا ويتناصروا ويبحثوا عن خطة مشتركة للنجاة من هذه الورطة ، وللفوز والفلاح والحياة في المستقبل .

وهذا الذي دعاني الى أن أقدم الى مسلمي مصر والشام والعراق وسائر البلاد العربية والاسلامية ، الخطاب الجليل الذي خاطب به المحكمة الانكليزية زعيم الهند الجليل الهمام ، الشيخ ابو الكلام احمد ، عند ماحوكم فيها ، لانه فوق مافيه من البصائر والعبر ، يبين مقاصد ذلك الجهاد ، وطرق السير فيه بأحسن

بيان — غير أنه لا بد لايضاح كنه هذا الخطاب من بيان وجيز لحركة « اللاتعاون السلمي » التي سببته هذه الواقعة —

﴿ حركة اللاتعاون السلمي في الهند ﴾

قامت حركة هذا الجهاد بعد هدنة الحرب الكبرى مباشرة ، فظلت زمنا محصورة في قيام المظاهرات، وحشد المحافل ، واجتماع المؤتمرات ، وارسال الوفود الى انكلترة وأوربة ، وغيرها من الطرق السياسية المعهودة . ولما لم تنتج هذه الاعمال شيئا ، تشاورت جمعية الخلافة والجمعية الوطنية الكبرى في وضع خطة للعمل، ثم أعلنتا في أغسطس سنة ١٩٢٠ « اللاتعاون السلمي » الذي هو داخل تحت الاوامر الشرعية لانه قسم من أقسام ترك الولاء للمحاربين والذي يسمى بالانكليزية Monuiolent Non - co - operation ومعنى (كوابريشن) المساعدة والمشاركة في العمل ، فكان الغرض منه أن تقطع من بريطانيا جميع تلك العلائق التي تساعدها في حكمها واستبدادها وقيامها في البلاد ، لان الهند ليس في وسعها أن تقوم بحركة مسلحة ولانها تريد أن تقدم مثالا عمليا لمقاومة القوة بالطرق السلمية ، فلذا جعل عنوان هذه الحركة أن تكون سلمية بالمرة ، فلا تقابل القوة المادية بقوة مثلها ، بل بالحلم والتضحية والثبات على الحق ، تتعب القوة من الظلم والعسف ، ولا يتعب أصحاب الحق من الصبر والتضحية —

وكانت لائحة عملها كما يلي :

(١) ترد الى الحكومة جميع مناصبها وألقاب شرفها وأوسمتها

(٢) تقاطع جميع مدارسها وكلياتها ، وتؤسس للصبيان المدارس الوطنية، والشبان يشتغلون بنشر الحركة وترويجها —

(٣) تقاطع جميع المحاكم العدلية ، فلا يذهب اليها المحامون ولا أصحاب الدعاوى ، بل تؤسس المحاكم الوطنية فتفصل فيها الدعاوى على الطرق البسيطة.

(٤) تقاطع إصلاحات الحكومة التي تمن بها على البلاد ، فلا يرشح أحد

نفسه للمجالس النيابية ولا ينتخب لها أحد .

(٥) تقاطع البضائع الانكليزية ، ولا سيما القماش منها ، ويجب على الوطنيين أن ينسجوا القطن بأيديهم ، فينسج منه القماش ، وهو الذي يستعمله الناس .

(٦) يجب ترك الخدمة العسكرية لان الدولة البريطانية تستعمل الجيش الهندي لاستعباد هذه البلاد وغيرها من البلاد الحرة .

(٧) يجب أخيرا أن يمنع كل مايدفع الى الحكومة من أموال الضرائب وغيرها فلا يؤدى اليها فلس واحد وان سجنت وعذبت .

لا يخفى خطر هذه اللائحة ، فانها لم تكن الا دعوة الى الايثار وهضم النفس وتحمل الخسائر والتعرض للنوائب ، اذ لا يلبيها أحد الا وينفض يده من وسائل معيشته ، فيذر نفسه وأهله للضنك والفقر والفاقة ، ثم يعرض عن كل ما عند الحكومه من الرتب والمنافع والشرف والفخار ، وبعد ذلك يعرض نفسه للحبس والتعذيب وقد يلقى الى القتل والصلب ، الا ان البلاد رحبت بها وتقبلتها بقبول حسن ، فأخذت جماعات تاركي التعاون تظهر من كل جهة وتعلن هذه الامور وتعمل بها ، والحكومة تراها بعينها ولا تعرف كيف تصد تيارها .

﴿ مقاطعة ولي العهد ﴾

ولما رأت الحكومة أن الحركة لا تزال تقوى وتنتشر وأنها لا تقدر على قهرها لجأت الى الحيل السياسية ، فدبر لوالي العام الجديد اللورد ريدنج الداهية الشهير ، سياحة لولي عهد انكلترة في البلاد الهندية ، ظنا منه أن البلاد لا تأبى استقباله والترحيب بضيفها لان العائلة الملكية تعتبر عندهم فوق المنازعات السياسية ، فتضعف الحركة وتعود المياه الى مجاريها —

ولكن سرعان ما خاب أمله ، فان الامة ما سمعت بهذه السياحة الا وقررت مقاطعتها ، وأعلنت جمعية الخلافة وجمعية العلماء أن هذه السياحة تنوب (عن) الامبراطورية البريطانية ، التي تحارب الخلافة والبلاد الاسلامية ، وتريد استعبادها

واستعمارها ، فلذا لا يجوز لاحد من المسلمين أن يشترك في استقبال ولي العهد ، ولا في الاحتفالات التي تقيمها الحكومة له —

ولقد قامت المازعات الشديدة في البلاد بعد هذا الاعلان ، فكانت الحكومة من جهة تجدو وتكد بجميع وسائلها الكثيرة وموادها العظيمة لانجاح هذه المسألة ، وفي جهة أخرى كان زعماء البلاد الذين لاحول لهم ولاقوة لامم معترضون على مقاطعتها ، وكانت النتيجة مدهشة جدا ، كانت هزيمة شنيعة تسجل في التاريخ لى قوى دول الارض أمام الرأي العام لبلاد ضعيفة الجسم ، قوية الروح ، فلقد رأى نجل امبراطور العالم بعيني رسه منظرا مدهشا ، لم يشاهد مثله من قبل ، وربما لم يخطر في باله ، فانه ما دخل مدينة الا وجد الاسواق فيها معطلة والدكاكين مقفلة ، والابواب موصدة ، والشوارع مهجورة ، والمدينة كلها في سكون كسكون المقابر ، فانه لم يمن فيها أحد الامس اوقد شاهد ماشاهد ، ثم أبيه الذوق أوف كنوت مثل ذلك في سياحته التي قامت سياحته بسببه ، ووصفه أحد مكاتبي الجرائد في باريس قائلا «ان الهند اليوم مثل ما كانت باريس عند دخول الجيوش الالمانية اياها في حرب السبعين ! » (للكلام بقية)

(وصف استقلال العراق بقلم شاعره معروف افندي الرصافي)

لنا (ملك) وليس له (رعايا) و (أوطان) وليس لها (حدود)
(وأجناد) وليس لهم (سلاح) و (مملكة) وليس لها (نقود)
ويكفينا من الدولات انا تعلق في الديار لنا البنود
و (أنا) بعد ذلك في (افتقار) الى ما (الاجنبي) به (يجود)
تسود سياسة (الهندي) فينا وأما ابن البلاد فلا (يسود)
اذاً (فالهند) أشرف من (بلادي) و (أشرف) من بني قومي (الهنود)
وكم عند الحكومة من (رجال) نراهم (سادة) وهم (العبيد)
وليس (الانجليز) (بمنقذينا) وان (كتبت) لنا منهم (عهود)
فمن شفق (القوي) على (ضعيف) وكيف يعاهد) الخرفان (رسيد)
ولكن نحن في يدهم (أسارى) وما كتبوه من عهد (قيود)
أما والله (لو كنا قروداً) لما رضيت بعيشتنا (القرود)

باب المراسلة والمناظرة

رد على الرسالة الرملية ، فيما سمته العقائد الوهابية

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة استاذنا العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر

أرجو نشر مايأتي في المنار بيانا للحقيقة التي أخفاها المحترم صاحب مجلة الاسعاد وصاحبه الاستاذ المحترم الشيخ تاج الدين في حادثة الرمل اذ كتب الثاني رسالة أسماها (الرسالة الرملية في الرد على مروجي بعض العقائد الوهابية في ثغر الاسكندرية) ونشرها صاحب المجلة المذكورة واسماها (الرسالة الجليلة) وعقبها بخبر غير صحيح لم يعزه الى مصدره الحقيقي بل عزاه الى نفسه ليوهم أنه كان حاضرا ويلبس على القراء

وقد نشرت الرسالة المذكورة فى عدد ٥ من المجلد ٣ من مجلة الاسعاد ـ وكتبنا ردا عليها فأبى نشره وطلب غيره خوفا على كرامة الاستاذ المؤلف كما يقول . فكتبنا غيره وأردفناه بمؤاخذته على الخبر الذي نشره غير معزو الى صاحبه طالبين منه نشره ظانين أنه كاصحاب المجلات الحرة التي تنشر مالها وماعليها وترد بالحق كالمنار الذي يطلب كل حين من قرائه أن يوافوه بكل مايرونه منتقدا معززا بالادلة والبراهين — وقد نشر بعضه مبتورا أوله ورد عليه بالباطل الذي طالما لفظ به المقلدون ، وفنده المهتدون . اسعادا لصاحب الرسالة علينا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أما ملخص الحادثة الرملية فهو أن أئمة المساجد منعوني من إلقاء المواعظ والدروس في المساجد التي احتكروها بالوظائف والمرتبات فاتخذنا مسجدا آخر بنيناه بأيدينا في ملك بعض مريدينا . وصرنا نصلي فيه ونقرأ الدرس بعد العشاء لمن يحضر من الاخوان فاجتمع عندنا خلق كثير وهداهم الله حتى تابوا عن الكبائر التي كانوا منغمسين فيها ليلا ونهارا . فقد أولئك الائمة وصاروا يفترون علينا الكذب وينبزوننا بالالقاب ويشيعون بين الناس أننا ننكر الوسيلة والشفاعة ونسب الائمة وننكر الوحي ويخطبون في مساجدهم بهذا

ويقسمون بالله جهد أيمانهم ليصدقهم العوام . ثم كتبوا للمشيخة الاسكندرية شكوى عزوا الينا فيها كل هذه المفتريات وختموا كثيرا من العوام عليها زورا وطلبوا من المشيخة ارسال وفد يخطب معهم في الاغراء بنا، وتنفير الناس عنا ولكن المشيخة وفقها الله لم ترد ذلك لما بلغها أننا براء من كل ما نسبوه الينا بشهادة بعض الكبراء وبعض العلماء الذين يعرفوننا حق المعرفة . ولما اكثروا من الشكوى، وأرسلوا وفودهم الى المشيخة تترى كلفت بعضهم بتحقيق المسألة وكان المنتظر من ذلك الوفد المؤلف من ثلاثة من علمائهم أن يحضروا الى محل الحادثة ويجمعوا الائمة الشاكين والمشكو منهم في بيت بعضهم بعيدا عن العامة وفي حفلة خاصة بهم ولكنهم — أرشدهم الله — لم يفعلوا وجاءوا بعد شهر الفوا فيه رسالة ردا على شخص لا وجود له الا في خيالهم ينكر الوسيلة والشفاعة وكرامات الاولياء وما استحسنوه من البدع وجاءوا يوم جمعة في ربيع الاول من سنة ١٣٤٠ في بعض مساجد الظاهرية وبعد صلاة الجمعة قعد القوم واحتشدوا حتى ملأوا ما هو له من الفضاء والطرقات وقعد أحد الثلاثة الموفدين وهو الاستاذ الشيخ تاج الدين وأخرج رسالته بعد أن نوه الخطباء بفضل الوفد وعلمه وعناية المشيخة بايفاده وأن قوله هو القول الفصل ، والدين المدل واسترعوا الاسماع لقراءة الرئيس رسالته فقرأها وأنا حاضر في المسجد لا أقدر أبدي ولا أعيد من كثرة الصياح، وارتفاع الاصوات، وتحرش العوام وكلما هممت برد الباطل اسكتني العوام من حولي ولما قرأ الاستاذ مسألة الشفاعة وأثبتها على الوجه الذي نعتقده استطعت أن أرفع صوتي بالموافقة في بعض المواضع التي لا خلاف فيها ثم انتهى الشيخ ولم يكد حتى قام ثاني الوفد الشيخ شريف وخطب وخصني بالكلام تحاملا اذ قال: يا فلان اتق الله — يكررها — ولا تفرق الناس ونحو ذلك ثم قام آخر وارتقى المنبر بغير دعوة وصار يحرض الناس ويثير الفتنة بسب ويشتم تصريحا وتلويحا والعلماء حاضرون واكثر العوام والخصوم فقمت من بينهم بعد أن أشهدتهم ورددت عليه وقلت والله انا كنا على الحق ولا زلنا على الحق والله لانصرن السنة مادمت حيا ان شاء الله، وما كدت أخرج من باب المسجد حتى ابتدرني العوام ضربا ولكما ولم ينقذني من بينهم الا رجال الشرطة وبعض الاخوان

وأما الرسالة فقد احتوت على اثبات الشفاعة التي لم ينكرها أحد ليقال انه رد على من ينكرها وليدخل أو يلصق بها مايسمونه اليوم بالتوسل والمراد دعاء الموتى وسؤالهم قضاء الحاجات وقد بنى اثبات هذه الوسيلة على حياة الاموات في قبورهم وسماعهم من يخاطبهم واستجابة دعائه وردهم عليه السلام واستدل بعض الأحاديث الضعيفة وبالآية الواردة في حياة الشهداء وحديثين من أحاديث الصحيح في سؤال القبر والزيارة وهي حجة عليهم لالهم لو كانوا منصفين ثم قاس على حياة الشهداء — التي أثبتها القرآن لشهداء الصحابة في بعض الغزوات — حياة جميع من يسمونهم الاولياء وبنى على هذا جواز دعائهم والاستغاثة بهم في تفريج الكروب وقضاء الحاجات لانه لافرق عندهم بين رد الميت السلام على من سلم عليه وبين استجابته الدعاء واجابة سؤال من توجه اليه ولاسيما اذا قدم له هدية من صدقة وقرآن (كذا قال الشيخ تاج الدين) في رسالته وذكر واقعة حال جرت بينه وبين وليه أبي العباس وكفى بها مصورا لعقائد امثاله وهذا نصها نقلا عن مجلة الاسعاد وهو :

« كم من منح ونفحات ، ونوال وافاضات ، شوهدت بسبب الزيارات والتوسلات ، باصحاب هذه المقامات : فما وقع للفقير جامع هذه الكلمات انني اضطررت (تأمل) وقتا الى الانتقال من مسكن الى آخر بمدينة الاسكندرية وكاد الحصول على المطلوب يتعسر أو يتعذر (تأمل) لضيق الجهة التي اريد السكنى بها بسكانها فتوجهت (تأمل) لزيارة سيدي احمد المرسي أبي العباس رضي الله عنه فبعد أن سلمت ووهبت لروحه الكريمة (تأمل) ماتيسر من القرآن توسلت به الى الله تعالى في ذلك المطلوب (تأمل) وشكوت له هذه الضائقة (تأمل) كاني اكلم حيا اشاهده (تأمل) واخاطبه وكان من كلامي له رضي الله عنه هذه العبارة (إن كان لكم كرامات فلم لم تكن لامثالنا وقد جئنا لتعليم العلم) ثم خرجت فاعترضني بجوار ضريحه أحد كناسي البلدية فسألته عن مسكن فاشار الى دار بهذه الجهة تدعى بدار الحاج علي الحولاني وقرع بابها فنزل صاحبها المذكور باسم الوجه ترى عليه لوائح الاستبشار بالطارق وادخلنا ماأعده للايجار من هذه الدار فقدرت اجرته في نفسي بما يقرب من ضعف ماخصصه لاجرة السكنى فاردت التخلص لذلك ولما ظهر لذلك الرجل حقيقة الامر لم يسعه

إلا القبول بما استطيع فاوقفني تساهله هذا في ريب وحذر من ان يكون بالمسكن عيب خفي على فاستأجرته مشاهرة بدل المسانهة التي هي العادة الغالبة بالمدينة فقبل أيضاً وبعد تمام الاتفاق والتوقيع من الجانبين على الاوراق قال ان سبب هذا الاكرام أني ساعة قرعكم الباب كنت نائما فرأيت أبا العباس واقفا على سطح مقامه يناديني بياعلي إني مرسل اليك من يسكن بدارك فاكرمه فايقظني قرع الباب فاحببت أن أقابل هذا الطارق بنفسي ، لعله المرسل من قبل السيد المرسي ، فتحققت ما رجوت لاني رأيتك كثيرا بمسجده (تأمل) وعزمت على اكرامك بكل مايمكنني اجابة لهذا الولي الذي لم أره في منامي مدة حياتي غير هذه المرة) قال الشيخ فشكرته الخ ،

هذه الحكاية تمثل لنا عقيدة الشيخ الذي يرد على الوهابية وتمثل لنا أيضاً عقيدة صاحب مجلة الاسعاد الذي نصب نفسه لافتاء الناس وكتب على مجلته عنوان اكبر المجلات الاسلامية الاصلاحية . . .

ثم هو يصف هذه الرسالة القبورية بالجليلة راضيا بما فيها ويرد على من قام يدفع عن نفسه تهمة الكذب التي ألصقها به الجاهلون فالاصلاح عند هؤلاء المصلحين تضليل من يهتدي بهدي السلف الصالح ، واقناعه بالنظريات والتأويلات لاتباع خرافات القبوريين واصحاب الموالد الخ (عبد الظاهر)

(المنار) قد تكرر تفنيدنا الخرافات الجبت الوثنية فنكتفي هنا بتذكير طلاب الحق بالمسائل الآتية المفصلة في المنار من قبل وهي

(١) ان ما ورد من النصوص في عالم الغيب كحياة الشهداء وسماع أرواح المؤمنين والكفار كلام أهل الدنيا — يجب الايمان بما صح منه كما ورد بلا زيادة ولا نقصان ولا يجري فيه القياس ، بل هو مبني على السماع . وهذه مسألة لا خلاف فيها ولكن أدعياء العلم عندنا يدرسون بعض كتب الكلام والاصول لاجل المناقشة في عباراتها استعدادا للامتحان ولا يعقلون منها شيئاً .

(٢) ان هذه مسألة اعتقادية لا تقوم الحجة عليها الا بالادلة القطعية ولو كان الصالحون يقضون حاجات الناس بعد موتهم وكان طلب ذلك مشروعا لبينه الله في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) بياناً لا شبهة فيه ولتواتر فعله عن الصحابة والتابعين (رض) ولكن لم يرد فيه نص قطعي ولا خبر صحيح ظني

(٣) ان الرؤى والاحلام لا يثبت بها حكم من أحكام الفروع الشرعية التي يكتفون فيها بالادلة الظنية ، فضلا عن العقائد وأصول الايمان التي يترتب عليها السعادة الابدية أو الشقاء الابدي ، فرجل مشغول الخيال بأمر من الامور تخيله في نومه واقعاً على ما يحب في صورة مطابقة لعقيدته في ميت وافق تخيله الواقع ، هل يثبت بهذا أصل من عقائد الدين أو أي شيء يعتد به شرعا ؟ أو يعد من خوارق العادات ؟ كلا ان مثل هذا يقع كثيرا لاهل كل ملة ولا سيما الوثنيين ، والروايات عن المتقدمين والمتأخرين فيها كثيرة ، ولكن أدعياء العلم عندنا لا يعرفون من أمر العالم ولا من تاريخه شيئاً يعتد به . وان علماء النفس المتأخرين قد أثبتوا أن بعض الناس يشعرون في المنام أو اليقظة ببعض ما تتوجه اليه أنفسهم من الامور وينقلون وقائع كثيرة في ذلك . فلا يبعد على هذا أن تكون نفس صاحب الدار قد شعرت وهو نائم بأن رجلا في مسجد المرسي سيطلب منه ان يسكن في داره فصور له الخيال ان المرسي هو الذي أرسله ويطلب إكرامه . فهل ترتب على هذا المنام الذي تكثر أمثاله في كل أمة وملة ان المرسي سمع دعاء الشيخ اللاجيء اليه واستجاب له وتمثل لصاحب الدار في منامه وأخبره بما أخبره وأمره بما أمره ، ثم نجعل هذا دليلا على شرعية الذهاب الى القبور التي اتخذت مساجد فاستحق متخذوها لعنة الله على لسان خاتم رسله في آخر حياته وندعوهم بان يقضوا حاجاتنا ، خلافا لكتاب ربنا وسنة نبينا وسيره سلفنا الصالح . (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ـ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا)

﴿ أهم أخبار العالم ﴾

إن انباء مؤتمر الصلح بين الشرق والغرب في لوزان ، ما زالت تشيل وتهبط بها كفتا الميزان ، ولن تعتدل حتى يعتدل الفريقان ، والظاهر ان السياسة البريطانية ، قد فازت في هذا الطور على السياسة الفرنسية ، فاذا تم للورد كرزون استمالة الترك فالويل للعرب عامة ، ولمصر خاصة ولن يتم ذلك ان شاء الله ، وانما نرجو أن يتم الصلح على قاعدة الاعتراف بحرية الامم واستقلالها والا فلا سلام في الارض حتى ينتقم الله من الباغين انتقاما آخر يتوبون به اليه من استعباد خلقه

﴿ تقريظ المطبوعات الجديدة ﴾

كان شقيقنا السيد صالح رحمه الله تعالى قد اختص نفسه بتقريظ المطبوعات الجديدة في السنين الاخيرة فكان يأخذ أكثر مايهدي منها الى المنار ويضعه في مكتبه ويتخير للتقريظ ماشاء منها متى شاء ويحيل علينا أقله احيانا. ولم يتيسر لنا بعد وفاته أن نحصي ما ترك تقريظه وإنما جمعنا بعضه فننوه به من غير مراعاة التأريخ ، ولا لمكانة هذه الكتب والصحف في التقديم والتأخير

﴿ مسند الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهي ﴾

قد طبع هذا الكتاب المسمى بهذا الاسم في العام الماضي بمصر سنة ١٣٤٠

الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب هو أحد أئمة أهل البيت الاعلام ، عليهم التحية والسلام ، وهو الذي ينتمي اليه الزيدية روى الحديث عن أبيه وأخيه محمد الباقر وأبان بن عثمان بن عفان وعروة بن الزبير وعبد الله بن أبي رافع ، وروى عنه ابناه حسين وعيسى وابن أخيه جدنا جعفر الصادق والزهري والاعمش وشعبة وكثيرون منهم أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي الذي روى هذا الكتاب الموسوم بالمجموع الفقهي الذي يسمونه مسند الامام زيد أيضاً ، وهذه التسمية ليست على اصطلاح المحدثين فانما الكتاب مجموعة أخبار وآثار مرتبة على أبواب الفقه ككتب السنن ، والاخبار المرفوعة فيه على كثرتها قد رواها بصيغة : حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا أو فعل كذا. ولديهم مجموع آخر يسمى المجموع الحديثي من رواية أبي خالد أيضاً

فأما الامام زيد فلا خلاف بين علماء الحديث وغيرهم في توثيقه وعلمه وفضله وصلاحه ، وهو الذي رفضه غلاة الشيعة لتوليه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما إذ قالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نبايعك . فقال لا أتبرأ منهما ، فقالوا : اذن نرفضك — قال اذهبوا فأنتم الرافضة ، فلزمهم هذا اللقب. وأما أبو خالد الواسطي فقد جرحه في الرواية الامام أحمد ويحيى بن معين وأبو داود والحاكم ويجيب بعض علماء الزيدية عن ذلك بأنه من قبيل طعن أهل كل مذهب في كل

مخالف لمذهبهم — ولا يصدق هذا على أمثال هؤلاء الأئمة فانهم لم يكونوا يحاربون أحداً ولا يتعصبون لمذاهب معينة ولا يتحاملون على أحد في الجرح والتعديل، وقد رووا عن كثير من مخالفيهم في بعض المسائل لما ثبت عندهم عدالتهم، على أن المذهب الذي قيل إنهم مجروحون لاجله هو مذهب الامام زيد وهم متفقون على عدالته وفضله وللحاكم منهم نزعة تشيع معروفة. وكان أقرب من هذا العذر أن يقولوا إنه انفرد برواية أحاديث لم يروها أحد منهم فظنوا فيه أنه هو الذي وضعها، أو وجدها مكتوبة ولم يسمعها، وقد احتاط البخاري في ذلك فوصفه بأنه يروي المناكير، وهم لم يطعنوا فيه بشيء آخر غير هذه الاحاديث التي لم تعرف عن أحد غيره من رجال طرقهم. وقد أشار بعضهم الى أن جرحه من قبيل أقوال بعض المعاصرين بعضهم في بعض، وما قلنا أقرب الى ذهن المستقل لانه لم يكن ممن يظهر فيهم أنه من أقران من تكلموا فيه.

هذا وإن اكثر أحاديث الكتاب مخرجة في غيره من كتب الحديث المشهورة ومذهب الزيدية أو العترة ليس مبنيا عليه وحده بل هو مبني على الاجتهاد الصحيح وقد أنبتت أرض اليمن في القرون الاخيرة التي مات فيها العلم الاستقلالي في أكثر بلاد الاسلام أئمة لا يستطيع أحد رأى كتبهم أن يماري في اجتهادهم، أو أن يفضل عليهم قريناً من علماء سائر المذاهب في أمصار الاسلام سواء المذاهب المنسوبة الى السنة والمنسوبة الى الشيعة الامامية، ومن يماري في اجتهاد ابن المرتضى و ابن الوزير والمقبلي والشوكاني؟ ديع الدين جمعوا بين امامة العلم وامامة الحكم كالهادي والناصر ويحيى والمتوكل، وهم يشترطون في الامام الاعظم (خليفة المسلمين) ما يشترط اهل السنة من الاجتهاد في الدين ولذلك بقي الاجتهاد فيهم وسيبقى ان شاء الله تعالى وان ضعف العلم في هذا الزمان

وقد طبق الحافظ ابن حجر على أئمتهم حديث «سيبقى هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان» وهو يدل على اعترافه بصحة إمامتهم، وتبعه في ذلك غيره كالقسطلاني فذكره في شرحه للبخاري من غير عزو ولو أنهم كانوا يعنون بالدعوة الى الاسلام والى إقامته في البلاد والقبائل التي درست رسومه فيها من جزيرة العرب وغيرها كما فعل الشيخ محمد عبد الوهاب وخلائفه في نجد وما حولها، لاحيوا الاسلام وعمت إمامتهم جزيرة العرب

كلها ، مهما يكن من مقاومة الدولة لهم فيها .

﴿ القصائد والصحائف ﴾ كتابان في مجلد واحد لداعية العصبية العربية ابي الفضل الوليد بن طعمة الشهير وقد هذا العربي الابي الكاتب الشاعر حياته على إحياء العصبية العربية وتجديد مجد العرب وملكهم فأنشأ أولا جريدة سماها (الحمراء) تذكيراً بمجد العرب في الاندلس ثم كان يكتب في جريدة النهضة العربية (وكلتاهما صدرتا في الارجنتين) ولم تكن الصحيفتان قبل احتجابهما تتسعان لمخدرات أفكاره ، فكان ينشر شعره ونثره في دواوين خاصة ، وقد طبع ديوانه الاول الطبعة الثالثة في (سان باولو — البرازيل) سنة ١٩١٥ وكان في سن الحادية والعشرين ثم طبع في سنة ١٩١٦ مجموعة مقالات أدبية سماها (نفحة الورد) ختمها بمقالة في الدعوة العربية التي تتجلى في مقالات كثيرة منها ، وكان يدعو الى اتحاد النصارى مع المسلمين في القومية العربية على القاعدة التي يدعو اليها السياسيون المتدينون وهي ان الدين لا يمنع من اتفاق المختلفين فيه على مصالحهم الدنيوية المشتركة ، بل قال ان كانت الوحدة العربية تتوقف على توحيد الدين فهو يدعو أهل ملته النصارى الى الاسلام لاجل تحقيق تلك الوحدة

وأما هذه القصائد والصحائف التي كانت آخر ما نشره من نظمه ونثره فهي اسلامية عربية يدعو فيها الى تجديد مجد الاسلام بالعرب ومجد العرب بالاسلام فقد كتب على طرتها انه « طبعها بنفقته وعنايته لخدمة الدين والامة والوطن » وانه ألفها في سنتي ١٣٣٧ و١٣٣٨ وطبعها في سنة ١٣٣٩ وقد صرح فيها باسلامه وافتتحها بالبسملة ولكنه بنى دعوته على شفا جرف هار ، بنى عليه قصوراً من الخيال ، دونها الحمراء والزهراء في البهجة والجمال ، وحصوناً من الاماني دونها الابلق الفرد ، بل جزيرة هيلوجلند ، ذلك بأنه اغتر بثورة الحجاز والمملكة العربية فيه . فطفق يدعو سائر العرب والمسلمين الى مبايعة ملكه ، وهو لا يدري انه قد قيد نفسه بوصاية دولة اذا مرت ببلد أو أكلت أو شربت فيه أو دفن أحد من بنيها في أرضه تزعم انه صار ملكا لها وزال كل حق لاهله منه الا ما تمنحه هي لمن تستخدمهم في استعباده — وهو لا يدري كنه استعداد الحجاز وأهله للحكم والملك ، ولا ولا . . . إنما هو أديب عالم ، وشاعر مؤثر ، وغيور على أمته ، ولكنه أضاع ، جهاده بوضعه في غير موضعه بعض أن لا تثنيه خيبة الامل من هذا الطريق على سلوك غيره في جهاده ونصائحه